الفصل الرابع

# مجتمع مجرم

# تمهيد

**رأينا** ـ فى الفصول الثلاثة السابقة ـ كيف أن المساهمة فى الجريمة تطورت من الصورة التى يرتكب فيها فرد واحد الجريمة، إلى الصورة التى يرتكبها فيها عشرة أفراد هم إخوة يوسف الذين اتفقوا ونفذوا جريمتهم، إلى الصورة الثالثة التى تواطأت فيها جماعة بكاملها ـ هى طبقة الصفوة ـ على ارتكاب جريمة سجن يوسف ـ عليه السلام ـ لأنه رفض أن يزنى بامرأة سيده العزيز ثم بالنسوة اللاتى دعتهن المرأة اللعوب ليشاهدنه، حتى يلتمسن لها العذر فيما أقدمت عليه من مراودته عن نفسه فما كان منهن إلا أن راودنه هن أيضا عن نفسه!

وفى هذا الفصل نعرض لجريمة فريدة فى نوعها؛ لأنها جريمة مجتمع بأكمله، رضى أفراده جميعا أن يتردوا فى هوة سحيقة من الانحطاط الأخلاقى، لم يسبق لها مثيل، وذلك بارتكاب الفاحشة فيما بينهم، لا فرق بين الذكور والإناث، فهؤلاء يمارسن السحاق فيما بينهن، وأولئك ـ أى الذكور ـ يمارسون اللواط دون خجل أو حياء، وكأن ذلك من الأمور الطبيعية، وهو سلوك لا تعرفه الحيوانات ذاتها مما يجعلنا نسىء إليها بوصفنا لهذا السلوك بالبهيمية أو الحيوانية.

ولقد كان الناس فى كل الدنيا يتساءلون ـ إلى عهد قريب ـ عن الكيفية التى تردى فيها مجتمع قوم لوط ـ عليه السلام ـ بأكمله فى هوة الشذوذ والانحطاط، وكأنهم تعرضوا لوباء فتاك لم يترك منهم أحدا دون أن يصيبه، ولم يصدق كثير من المهتمين بظاهرة الجريمة والانحراف أن تكون عوامل اجتماعية واقتصادية هى

التى أدت إلى ما حدث، إلى أن أخذ هذا الضرب من الشذوذ والجريمة يظهر من جديد وبشكل متزايد فى المجتمعات الغربية، فلم يعد الشواذ يتخفون خجلا وعارا، بل أصبحوا يجاهرون بشذوذهم، ويدعون بلا كلل أو ملل إلى وجوب الاعتراف لهم بحقوقهم، ونظموا المظاهرات الحاشدة تطوف بالشوارع والأحياء، وتتسكع أمام مقار الأحزاب والمؤسسات السياسية محلية ودولية، وكونوا الجمعيات، وأقاموا الأندية، وأصدروا الصحف والمجلات، ونشروا الكتب، وأنتجوا الأفلام التى تتناول أوضاعهم وتبرر شذوذهم، بل وتروج له وتغرى بممارسته. ليس ذلك وحسب، بل إنهم فرضوا أنفسهم على المؤتمرات الدولية وما ينبثق عنها من لجان وورش عمل، يطالبون بالاعتراف لهم بالحق فى الزواج من بعضهم، رجل من رجل وامرأة بامرأة، وهو ما سبق لبعض الكنائس أن اعترفت لهم به. ومن المؤسف حقا أن تستجيب لهم حكومات غربية كثيرة، على رأسها الولايات المتحدة، فتجرى تعديلا فى مفهوم الأسرة الذى وضعته الأمم المتحدة، وعرفت فيه الأسرة بأنها رجل وامرأة وماقد ينجبانه من أولاد، لتجعله أى شخصين يقيمان معا بغض النظر عن اختلاف نوعهما، وما إذا كانا رجلا وامرأة أم رجلا ورجلا أم امرأة وامرأة. ولقد حاولت هذه الدولة أن تفرض على الدول التى شاركت فى المؤتمر الدولى للسكان الذى عقد اجتماعاته فى القاهرة عام ١٩٩٥م هذا التعريف المشين لولا ما قامت به الدول الإسلامية من التصدى للجهود التى بذلها ممثلو الولايات المتحدة من أجل إقرار مفهومهم الجديد للأسرة، فباءت محاولاتهم بالفشل الذريع، ولكنهم لم ييأسوا، فقد كرروا المحاولة فى العام التالى، فى المؤتمر الدولى للمرأة الذى عقد فى بكين، حيث تصدت لهم لا الدول الإسلامية وحسب، بل والدولة المضيفة نفسها ـ الصين ـ وغيرها من الدول. وعلى الرغم من أنهم واجهوا نفس الفشل الذى سبق أن واجهوه فى القاهرة، فما زالوا مصرين على فرض هذا التعريف على العالم!

وهكذا لم يعد هناك ما يدعو إلى الدهشة أو يثير العجب بشأن تفشى الشذوذ الجنسى، سواء أكان لواطا أم سحاقا، وشموله لمجتمع بأسره مثل مجتمع قوم

لوط، فها هى أكبر دولة فى العالم تريد أن تجعل من المجتمع الإنسانى بأسره مجتمعا شاذا. ولاندرى لمصلحة من تفعل ذلك؟! اللهم إلا إذا كانت قد أخذت على عاتقها القيام بدور الشيطان فى إفساد الخلائق، وفتح باب المعصية أمامهم على مصراعيه حبا فى إبليس وإخلاصا لتعليماته ومبادئه؟!

لعلنا نكون بذلك قد بينا ـ فى عجالة ـ وضع الشذوذ الجنسى فى عالمنا المعاصر، وما قد ينتهى إليه أمره، فإما أن ينجح أنصاره فى نشره فى العالم، أو ينجح العالم فى التصدى لهم وله.

وقصة جريمة قوم لوط فيها الرد على من قد يعن له أن يسأل: وماذا إذا تفشى الشذوذ الجنسى من لواط وسحاق؟! ولم يضيفوا إليه عبادة الشيطان والشرك بالله والنفاق وكل صور الفساد التى كان بعضها كافيا لأن ينزل الله تعالى عقابه الشديد بمقترفيها، والتى اجتمعت كلها فى المجتمعات الحديثة بدرجات تتفاوت فى الخطورة، بلغت أقصاها فى الغرب، حامى حمى الشذوذ والزنا والبغاء والميسر والخمر والمخدرات وانتهاك الأطفال، ورافع لواء الانحلال والفساد، ثم تتدرج فى الانخفاض فى المجتمعات الأخرى التى يرى بعض حكامها ومترفوها أن ذلك لا يصح حتى لا تعد شعوبهم من المتخلفين عن ركب الحضارة الغربية التى يغضبون بشدة إذا ما وصفت بحضارة الشيطان، وأن زعيمتها الكبرى هى الشيطان نفسه. ولاندرى ما الذى تركته هذه الحضارة للشيطان نفسه بعد كل هذا الذى ذكرناه؟!

## صورة المجتمع المجرم فى القرآن الكريم:

قدم القرآن الكريم صورة واضحة جدا ودقيقة للغاية للمجتمع المجرم ـ مجتمع قوم لوط ـ على الرغم من العدد القليل للآيات التى اشتملت على قصة هذا المجتمع، بحيث إنه لو كتبت حكايته بكل تفاصيلها فى مجلد، أو فى كتاب، فإن ملخصها لن يقل بحال، وكذلك لن يزيد عما ورد بالقرآن. وعلى خلاف قصة يوسف ـ عليه السلام ـ التى جاءت فى سورة واحدة، هى السورة التى

تحمل هذا الاسم، فإن قصة قوم لوط وردت فى سبع سور هى: الأعراف، وهود، والحجر، والشعراء، والنمل، والعنكبوت، والقمر، فى آيات بلغ مجموعها ثلاثة وسبعين آية، أكبرها ما ورد فى سورة الحجر إحدى وعشرون آية، تليها سورة الشعراء، ست عشرة آية، ثم سورة هود، إحدى عشرة آية، تليها العنكبوت ثمانى آيات، فالقمر سبع آيات، ثم الأعراف والنمل، وبكل منهما خمس آيات. وفى كل سورة من السور السبع إضافة جديدة للقصة تلقى مزيدا من الضوء على المجتمع المجرم، وعلى العقاب الذى أنزله الله تعالى به. وليس من شك فى أن ذكر الجريمة سبع مرات يدل على خطورتها الشديدة، وأن الله تعالى يريد أن يذكر المؤمنين بها حتى يتجنبوها، ويعملوا دائما من أجل منع حدوثها، خاصة وأن العوامل التى تتفاعل وتؤدى إلى وقوعها موجودة، دائمة.

وفيما يلى نضع الآيات التى تناولت قصة هذا المجتمع المجرم تحت نظر القارئ بحسب ترتيب السور التى وردت بها فى القرآن وذلك لسببين، الأول: أن يرى بنفسه كيف أنها تكمل بعضها بعضا فى اتساق شديد. والسبب الثانى: لكى يعود إليها أثناء قراءته لتحليلنا العلمى لمضمونها:

١ - ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١).

٢ - ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا

(١) الأعراف: ٨٠ ـ ٨٤

وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ
أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ
رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا
ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾
فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ
مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[1].

٣ ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا
لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ
أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ
مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا
تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ
هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(١) هود: ٧٤ ـ ٨٣

(٢) الحجر: ٥٧ ـ ٧٧

٤ ـ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ
﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ
أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ
مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

٥ ـ ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوٓا ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ
يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[2].

٦ ـ ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ
وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا
ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا إِنَّا مُهْلِكُوٓا
أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ
قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ

---

(١) الشعراء: ١٦٠ ـ ١٧٤.

(٢) النمل: ٥٤ ـ ٥٨.

﴿ ٣٢ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

٧ - ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ٣٤ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ٣٨ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾[2].

وهكذا رسم لنا القرآن صورة واضحة لهؤلاء القوم الذين نسبهم إلى نبيه لوط ـ عليه السلام ـ فبين لنا كيف انحدروا إلى الهوة السحيقة للفاحشة، وكيف كانوا يمارسونها، واعوجاج منطقهم، وفساد تفكيرهم فى وصفهم للوط وأهله، إلى غير ذلك من التفاصيل التى سنتناولها فى موضعها من هذا الفصل. غير أن هناك تفاصيل أخرى ثانوية لم ترد فى القصة القرآنية، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن القرآن الكريم ـ جريا على المنهج الذى التزمه فى سرده للأحداث ـ لا يتعرض للتفاصيل التى ليس لها علاقة بمغزى الحدث، ولا تنال من العبرة أو العظة التى أراد الله للناس أن يستخلصوها منه، ولكن المفسرين وغيرهم لم يكتفوا بذلك، وإنما قاموا ـ مدفوعين بالفضول العلمى ـ بالتوسع فى التفسير. غير أنه بالنظر إلى أنه لم يكن تحت أيديهم مادة كافية تعينهم على التوسع وإضافة تفاصيل غلب على ظنهم أنها تفيد الناس، فقد لجأوا إلى الإسرائيليات يستمدون منها ما هم فى حاجة إليه ظنا منهم أنها صالحة فى معظمها، بينما الحقيقة خلاف ذلك. فجاءت إضافاتهم مليئة بالأخطاء والتناقضات، على تفاوت بينهم فى حجم وخطورة هذه الأخطاء. الأمر الذى أوقع كثيرا من الناس ـ وبخاصة من اعتادوا إعمال النظر فيما يقرأونه، وتمحيصه ونقده ـ فى حيرة لم يجدوا منها مخرجا.

---

(١) العنكبوت: ٢٨ ـ ٣٥.

(٢) القمر: ٣٣ ـ ٣٩.

وبالنظر إلى ما أصبح للتفاصيل الإضافية ـ فى كتب التفسير وغيرها ـ من أهمية لدى الناس لأنها ترضى فضولهم. وحيث إن التقدم العلمى فى علوم كثيرة كالتاريخ، والديانات المقارنة، والأنثروبولوجيا، والآثار، وغيرها وفر معلومات كثيرة ـ فضلا عن التقدم الكبير فى مناهج البحث العلمى ـ فإنه أصبح ضروريا مراجعة ما ورد بكتب التفسير فى ضوء هذه التطورات، وتصحيح ما بها من أخطاء وإن بدت بسيطة ـ فى نظر البعض، أو لأنها حسب ظنهم لا تمس بجوهر العقيدة أو تنال من سلامة بنيان الدين واتساقه ـ إلا أن الحقيقة خلاف ذلك تماما. وهو ما ستثبته لنا هذه الدراسة، وبالذات فيما يختص بالأمور الخمسة الآتية، وهى: تحديد من هو المجتمع المجرم فى هذه القصة، وأين وجد، وعلاقة لوط به، والمدة التى لبثها فيه، واللغة التى تحدث بها إليه.

ولقد أوحت لى دراستى لكثير من قصص القرآن بوجود أهداف أخرى لهذا القصص غير العظة والعبرة وتسلية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثناء الفترة الحرجة التى مرت بها الدعوة والتى تعرض فيها لاضطهاد المشركين وظلمهم وعنتهم. من بين هذه الأهداف تحدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ للمعاندين والمكابرين من الكفرة والمشركين والمنافقين الذى يتهمون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوضع القرآن، أو أنه افتراه وادعى أن الله تعالى أوحى به إليه فأراد الله بإيراد هذه القصص فى القرآن أن يثبت لهم أن النبى برئ من تهمة وضع القرآن؛ لأنه لم يكن لديه علم بهذا القصص. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ما أخفاه من تفاصيل هذا القصص لم يكن فى جميع الأحوال بسبب عدم أهميتها لتحقيق الأهداف السالفة الذكر ـ وهى العبرة والعظة والتسلية ـ وإنما أيضا لتكون دليلا على كذب ادعاءاتهم، عندما تظهر فى الوقت المناسب، مثلها مثل آيات الله التى وعد بأن يريها للناس حتى يتبين لهم أنه الحق، وذلك فى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1]

قال القرطبى تفسيرا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾[1].

أى: علامات وحدانيتنا وقدرتنا «فى الآفاق» يعنى خراب منازل الأمم

(١) فصلت: ٥٣.

الخالية. وقال قتادة والضحاك: «فى الآفاق» وقائع الله فى الأمم[1]؛ لذلك فإن القصص القرآنى يدخل فى نطاق علم التاريخ؛ لأنه يشتمل على نبأ الأمم السابقة. وفى ذلك يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2] ومن هذا النبأ قصص الله الحق عن هذه الأمم[3].

كذلك فإن عدم ذكر أسماء الأماكن والأشخاص فى كثير من الأحيان يرجع إلى اختلاف الناس بشأنها، وذلك إما لأنها قد يكون لها أكثر من اسم فى الوقت نفسه، وإما إلى أن أسماءها قد تختلف باختلاف الأزمنة، لو أن القرآن ذكر اسما من أسمائها المتعددة لاختلف الناس حول أيها هو الصحيح؟ ودخلوا فى جدل عقيم قد لا ينتهى إلى شىء، وكذلك إذا ذكر اسما كان يطلق عليها فى زمن معين فإنهم سيجادلون بشأن بداية هذا الزمن وبشأن نهايته، وما إذا كان الاسم أو الصفة قد أطلقت بين البداية والنهاية أو قبل البداية أو بعد النهاية، إلى آخر ما برع فيه أساطين الجدل وعتاة المكابرين فى كل زمان ومكان.

## أولا - من هو المجتمع المجرم؟

لم يرد فى القرآن الكريم ما يدل على اسم هذا المجتمع، وهو الاسم الذى إما أن يستمد من اسم الأرض أو الإقليم الذى يقيم عليه، كما هو الحال بالنسبة لمصر التى أخذت اسمها من لون تربتها الحمراء[4]، ثم حمله سكانها عبر العصور، أو من اسم أو صفة لجماعة أو لشعب قديم سبق له أن أقام فى هذا الإقليم، كما هو الحال بالنسبة للسودان الذى أطلق عليه العرب هذا الاسم بسبب لون بشرة سكانه الشديدة السمرة. أو أن ينتسبوا إلى جد قديم مثل عاد أو ثمود

(١) القرطبى، المرجع السابق، ج ١٥ ص ٣٧٤.
(٢) التوبة: ٧٠.
(٣) أحمد موسى سالم (قصص القرآن فى مواجهة أدب الرواية والمسرح) ص ١٦٣.
(٤) أحمد المجدوب (الوهم والحقيقة فى الفكر المصرى الحديث).

أو تُبَّع وغيرهم، أو الشام التى أطلق العرب عليها هذا لأن موقعها إلى اليسار (أى الشمال) بخلاف المنطقة الواقعة إلى اليمين (أى الجنوب) وذلك بالنسبة للحجاز[1]. وإنما نسبهم الله إلى لوط ـ عليه السلام ـ فى قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾[2].

وبالتالى فإنهم أصبحوا يعرفون بـ (قوم لوط).

وعلى ذلك فليس هناك ما يمنع من البحث عن مكان الإقليم الذى كانوا يوجدون به، والمدينة أو القرية التى كانوا يقيمون بها. وهو ما فعله كثير من المفسرين الذين وجدوا ضالتهم فى التوراة والإسرائيليات، فنقلوه إلى تفاسيرهم وكتبهم ـ فى الغالب ـ دون إعمال نظر أو تمحيص، مما جعله مجرد تكرار لما قاله اليهود بكل ما فيه من أخطاء، بعضها يخالف القرآن الكريم؛ مثل قول بعضهم: إن أبا إبراهيم كان اسمه (تارح) بينما أن اسمه الذى ورد بالقرآن هو (آزر).

## ثانيا ـ الإقليم الذى كانت توجد به مدينة قوم لوط:

أما موقع قريتهم أو مدينتهم فقد حدده الله تعالى فى سورة الأنبياء حيث قال: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

قال القرطبى: أرض الشام، وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء. والبركة: ثبوت الخير.

وقال ابن عباس: الأرض المباركة مكة، وقيل: بيت المقدس؛ لأنها منها بعث الله أكثر الأنبياء. وقيل: الأرض المباركة مصر[4]. وفى رأينا أنه ليس ما يمنع من شمول الصفة لهذه الأقاليم الثلاثة، فكلها ظهر فيها وعاش أنبياء ورسل. غير أن

(١) فيليب حتى (تاريخ سورية ولبنان) ج ١ ص ٦٣.
(٢) الأعراف: ٨٠.
(٣) الأنبياء: ٧١.
(٤) القرطبى، المرجع السابق، ج ١١ ص ٣٥.

المقصود بالأرض التى بارك الله فيها للعالمين هنا هو ما أصبح يعرف بالشام؛ لأن الثابت تاريخيا أن إبراهيم ولوطا ـ عليهما السلام ـ هاجرا إليها، أما سفرهما إلى مصر فكان هربا من المجاعة التى حدثت فى الشام فى ذلك الوقت، وما لبثا أن عادا بعد أن انتهت المجاعة. وبالنسبة لمكة فإن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يقم بها، وإنما كان يتردد عليها ليزور ابنه إسماعيل ـ عليه السلام ـ ثم يعود إلى الشام.

وكان اسم الشام يطلق على الإقليم الذى يضم سوريا ولبنان وفلسطين التى كان اسمها فى الوقت الذى وقعت فيه هذه الجريمة كنعان أو أرض الكنعانيين، وهوشعب سامى (عربى) انتقل إلى هذا الإقليم ليعيش فيه. أما موطنه السابق فهو الجزيرة العربية، وكان انتقاله إلى الشام فى واحدة من الهجرات التى كانت تحدث بين الحين والحين. وكان شعب آخر من البابليين قد سبقه إلى الإقامة فى هذا الإقليم[1]. غير أن اسما آخر ظل يطلق لمدة طويلة على هذا الإقليم وغيره من الأقاليم التى تجاوره هو سورية. ولم يعرف الإقليم باسم فلسطين التى أصلها «فلسطيا» إلا بعد القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لما احتل أحد الشعوب الهندو ـ أوربية، الذى يحمل هذا الاسم، قادما من الجزر اليونانية ـ المنطقة الساحلية ـ وهى ذات الفترة تقريبا التى كان يحاول بنو إسرائيل احتلال المنطقة الداخلية بعد خروجهم من مصر بقيادة موسى ـ عليه السلام ـ ومنذ ذلك الحين انتشرت هذه التسمية ـ أى فلسطين ـ وصارت تشمل المنطقة كلها حتى البادية[2].

فلعلنا عرفنا لماذا لم يذكر القرآن اسم الإقليم الذى انتقل إليه إبراهيم ولوط بعد تركهما لموطنهما، وهل يقول إنه كنعان أم الشام أم سورية أم فلسطين؟ طبعا كان الأصح أن يشير إليه بصفته، وهى: الأرض التى بارك فيها للعالمين.

---

(١) محمد عزة دروزة (تاريخ موجات الجنس العربى، ودولها ومآثرها، فى بلاد الشام: سورية ولبنان والأردن وفلسطين) ص ٣٩.

(٢) فيليب حتى، المرجع السابق، ص ٦٢.

وتحديد موقع هذه القرية على هذا النحو يظهر مدى فداحة الجرم الذى ارتكبه هؤلاء الناس من ناحية، ويظهر ـ من ناحية أخرى ـ أن لا شأن للأرض ـ من حيث كونها مباركة أم لا ـ بسلوك الناس، حتى لا يتصور أحد أن وجود المشركين والفاسدين والمنحرفين على الأرض المباركة يتناقض مع كونها كذلك. وكثيرا مانرى بعض الناس ونسمعهم وهم يتساءلون فى دهشة: كيف يمكن أن تكون الأرض مباركة وطاهرة ويقيم فيها مجرمون وفاسدون؟ وكأنهم يشككون فى بركة هذه الأرض. وينسى هؤلاء الناس أن المجرمين وجدوا فى مكة قبل أن يبعث الرسول، وبعد أن بعث، فكان منهم المشركون والمنافقون والمنحرفون من كل نوع، وذلك للسبب الذى ذكرناه، وهو أن الأرض هى الأرض، سواء أكان الله قد باركها أم لا، وأنه من الخطأ أن يتصور البعض أن الأرض التى بارك الله فيها هى عبارة عن مكان يشبه الغرفة المعقمة التى تخلو من كل الجراثيم وأسباب التلوث. فمثلها لا يكون على هذا الكوكب ولكن فى الجنة.

وها نحن نرى التاريخ وهو يعيد نفسه فيقوم اليهود الصهاينة بتدنيس الأرض التى بارك الله فيها، بل وتدنيس المقدسات الإسلامية بكل ما هو فاحش ومنكر من الأفعال. وهم الذين اغتصبوا فلسطين من العرب فى ظروف مأساوية؛ حيث انضمت فئة من هؤلاء إلى أعداء الإسلام من إنجليز وفرنسيين ـ فى الحرب العالمية الأولى ـ ضد دولة الخلافة العثمانية بدافع من الحقد والحسد لهذه الدولة، والطمع فى الحكم ولو فى حماية الحراب الصليبية[1].

وبالفعل فقد حصلوا على ما يريدون فأصبحوا حكاما ورؤساء وملوكًا رغم أنف شعوبهم التى كانت قد خدعت فيهم، وفى حماية أعداء الإسلام الذى لا يدعون فرصة تمر دون أن يستغلوها لإذلال المسلمين وانتهاك حرمة مقدساتهم. وها هى إسرائيل تسعى جاهدة للاستيلاء على القدس لتكون عاصمة أبدية لما تسميه إسرائيل الكبرى التى تبين لهم أن الظروف الحالية التى يمر بها المسلمون والعرب هى أفضل ما يمكن أن يتاح لهم لتحقيق هذا الحلم أو الوعد الذى

(١) أحمد المجدوب (الوهم والحقيقة فى الفكر المصرى الحديث).

زعموا أن الله تعالى أعطاه لإبراهيم ـ عليه السلام ـ بعد أن انتقل إلى كنعان قادما من أور الكلدانيين.

رأينا كيف نسب الله تعالى هؤلاء القوم إلى لوط فقال: (قوم لوط). كما رأينا كيف حدد الإقليم الذى كانوا يقيمون فيه بأنه الأرض التى بارك فيها، وهى الأرض التى أصبحت تعرف باسم فلسطين ولازالت. غير أن القرآن الكريم لم يذكر اسم القرية أو المدينة التى كانوا يقيمون بها، أوهكذا يبدو لنا فى الظاهر، بينما أن الحقيقة خلاف ذلك، حيث إن بعض المعلومات التى وردت بالآيات التى تناولت قصة هذه الجريمة النكراء أفادتنا فى تحديد موقع القرية التى كان يقيم بها هؤلاء الناس، والذى يكاد يكون هو موقع قرية (سدوم) التى ورد اسمها بالتوراة على أنها هى قرية هؤلاء الشواذ المجرمين. وواضح من المنهج القرآنى ان اسم القرية ليس بذى أهمية بالنسبة لبعض الأهداف التى من أجلها أورد الله تعالى هذه القصة وغيرها فى القرآن الكريم، وهى استخلاص العظة والعبرة من أحداثها، وتسلية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكنه ـ أى اسم القرية ـ يمثل بخفائه تحديا للمشركين وللمكابرين والمعاندين لما أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

**ثالثا ـ مدينة قوم لوط:**

يقول القرطبى:[1] إن الله بعث لوطا إلى أمة تسمى سدوم، فهو قد نسبها إلى المدينة أو القرية التى كانت تسمى بهذا الاسم. وهذا ما قاله ابن كثير[2]: «بعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله ـ عز وجل ـ ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش». وإذا كان كثير من المفسرين الذين قالوا إن مدينة قوم لوط كان اسمها سدوم لم يحددوا مكانها فإن الشيخ محمد رشيد رضا[3] لم يعترف بأن اسم مدينة قوم لوط

(١) المرجع السابق، ج ٧ص ٢٤٣.
(٢) المرجع السابق، ج٣ ص ٤٤١.
(٣) المرجع السابق، ج ٨ ص ٤٥٢.

كان سدوم فحسب، بل ومضى يصف المنطقة التى كانت تقع بها، وما كان يوجد بجوارها من مدن، فقال: «وكان فى ذلك المكان ـ الذى كان يسمى «عمق السديم» وتقول عنه التوراة: «هو بحر الملح» ويقع بالقرب من البحر الميت، الذى سمى بحر لوط أيضا ـ القرى أو المدن الخمس: سدوم، وعمورة، وأدمة، وصبوبيم، وبالع التى سميت بعد ذلك صوغر بسبب صغرها، فسكن لوط فى عاصمتها «سدوم» التى قيل إنها هى المدينة التى قصدها القرآن بقوله عن أهلها: إنهم كانوا يعملون الخبائث. وكانت «عمورة» تلى سدوم فى الكبر وفى الفساد.

ولكن هناك من رأى أن سدوم لم تكن حيث ذكر رشيد رضا، ومن قبله التوراة، وأنها كانت توجد فى مكان آخر، فقد ذكر ياقوت الحموى[1] أن الميدانى ذكر فى (كتاب الأمثال) أن سدوم هى سرمين، بلدة من أعمال حلب المعروفة عامرة عندهم. وربما يرجع الخلط بين سدوم وسرمين إلى أن هذه الأخيرة ظهرت فيها بعض أفعال الفاحشة فكان قاضيها ـ الذى قيل عنه إنه كان معروفا بالجور ـ يحكم على مرتكبى الفاحشة بغرامة مقدارها أربعة دراهم!

وجاء فى القاموس[2] الإسلامى أن سدوم اليوم بلدة صغيرة تقع فى أقصى الجنوب الغربى للبحر الميت، احتلها اليهود عام ١٩٤٨م، وكانت سدوم مقرا لشركة بوتاس فلسطين التى استولت عليها العصابات الصهيونية.

وهناك رأى يذهب إلى أن البحر الميت المعروف ببحر أو ببحيرة لوط لم يكن موجودا قبل أن يجعل الله عالى سدوم سافلها، وإنما ظهر هذا البحر بسبب الزلزال الذى ضرب سدوم والمنطقة التى تقع بها، فانخفضت إلى ما دون سطح البحر بنحو أربعمائة متر. كما جاءت الأخبار فى بداية عقد الثلاثينيات من هذا القرن بأنهم اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت[3].

---

(١) معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٠٠.

(٢) أحمد عطية الله، ج ٣ ص ٢٨٥.

(٣) عبد الوهاب النجار ـ(قصص الأنبياء) الطبعة الثانية، ص ١٤٨.

أما دائرة المعارف الأمريكية فقد جاء بها أن موقع سدوم وعامورة ليس معروفا على سبيل التأكيد، وإن كان أغلب الخبراء يعتقدون أنه يوجد تحت الحافة الجنوبية للبحر الميت والتى ارتفعت مؤخرا وغطت الوادى. ويقع بجوار هذه الحافة جبل (أوسدوم) وهى الكلمة العربية التى تطلق الآن على جبل سدوم الذى يقوم بجوار الحافة الجنوبية للبحر الميت[١].

وأما التوارة فقد جاء فيها أنه لما اختلف إبراهيم مع لوط ـ عليهما السلام ـ اقترح إبراهيم أن يفترقا، فيقيم كل واحد منهما بعيدا عن الآخر «فرفع لوط عينية ورأى كل دائرة الأرض أن جميعها سقى قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة كجنة الرب بأرض مصر حينما تجيء إلى صوغر فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن»[٢] والمقصود بدائرة الأرض ما كان يصل إليه آخر مدى للرؤية عند لوط، أو ما نسميه الأفق. وهو كلام يوحى لمن يقرؤه أن لوطا ـ عليه السلام ـ قرر أن يتملك هذه المساحة الشاسعة من الأرض بما يقوم عليها من مدن وقرى وأنهار ومزارع، ولم لا وقد جاء فى التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم بعد انتقاله إلى كنعان: «واجتاز أبرام فى الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطى هذه الأرض»[٣].

أما الحقيقة فهى أن لوطا إنما كان يبحث عن مكان يصلح لأن يقيم فيه ويرعى ماشيته وأغنامه التى كانت كثيرة، فضلا عن خدمه وعبيده وجواريه. ويبدو أنه كان يقف على ربوة عالية تتيح له رؤية القرى أو المدن الخمس وما حولها من أرض خصبة يغطيها الزرع. وكانت المدن الكنعانية صغيرة الحجم قليلة المساحة لا تزيد فى أفضل الأحوال عن ستة عشر فدانا، تحيط بها أسوار تتفاوت فى السمك وفى الارتفاع، وتستقل كل منها عن الأخرى بحكومتها وملكها. وكان انقسام كنعان إلى ممالك ومدن صغرى يجعلها فى حالة حرب بعضها مع بعض فى كثير من الأحيان، وينقصها الاستقرار الداخلى بسبب نزاع النبلاء الطامعين بالسيادة المحلية[٤].

---

(١) The encyclopedia Americana, International edition, Volume 14

(٢) تكوين، إصحاح ١٣.

(٣) إصحاح ١٢.

(٤) فيليب حتى، المرجع السابق، ص ٨٨، ٨٩.

غير أننا نرجح أن سدوم وعمورة بالذات كانتا أكبر بكثير مما وصف به فيليب حتى المدن الكنعانية. ففيما ورد بالتوراة من أخبار عن المعارك الحربية التى نشبت بين ملوك مدن الدائرة وبين ملوك بعض المدن المجاورة، الذين أوقعوا الهزيمة بملك سدوم واسمه (بارع) وأسروا لوطا، الذى كان قد استقر به المقام فى هذه المدينة. نلاحظ أن هؤلاء الملوك كانوا يحكمون مدنا أو ممالك كبيرة، مثل شنعار وملكها أمرافل، والأسار وملكها أريوك، وعيلام وملكها كدرلعومر، وحوييم وملكها تدغال. مما يجعل من الصعب تصور أن تخوض مدن صغيرة لا تزيد مساحة كل منها على ستة عشر فدانا فى أفضل الأحوال حروبا ضد دول كبيرة وقوية مثل عيلام التى كان ملكها المدعو كدر لعومر قد استولى على العراق الجنوبى ثم زحف على الشام وفرض سلطانه عليها. وتقول التوراة: إن ملوك مدن الدائرة وفى مقدمتهم بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك أدمة وشمئيبر ملك صبوبيم وملك بالع التى هى صوغر كانوا قد خضعوا لكدرلعومر ملك عيلام لمدة اثنتى عشرة سنة، ولكنهم أعلنوا التمرد عليه فى السنة الثالثة عشرة، غير أنه هزمهم بسهولة ففروا من أمامه هاربين وتركوه يستولى على أموالهم ونسائهم[1].

ولما علم إبراهيم ـ عليه السلام ـ بما حدث للوط جمع غلمانه المدربين على القتال ــ وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا ـ وقادهم إلى دان وانقض على كدرلعومر وحلفائه أثناء نومهم ليلا فكسرهم وتعقب من فر منهم إلى قرب دمشق، واسترجع كل الأملاك، واسترد لوطا وأملاكه والنساء أيضا والشعب. (اختلف المؤرخون بشأن الفترة التى عاش فيها كدرلعومر بين القرن الثالث والعشرين والقرن التاسع عشر قبل الميلاد)[2].

وإذا كنا قد وجدنا أنه من الصعب تصور أن تجابه سدوم وحليفاتها المدن الأربع الأخرى كدرلعومر ملك عيلام وحلفاءه فإن الأشد صعوبة أن نتصور

(١) تكوين، إصحاح ١٤.

(٢) محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ١٢٠.

هزيمة هذا الملك من ثلاثمائة جندى أو حتى أربعمائة هم كل جنود إبراهيم - عليه السلام - أما الحقيقة التى نستخلصها من التوراة ذاتها فهى أنه لم تقع معركة بالمرة، وكل ما حدث أن إبراهيم - عليه السلام - ومعه الثلاثمائة وثمانية عشر رجلا، هم كل أتباعه، فضلا عن عدد غير معروف من الأموريين حلفائه لحقوا بجيش كدر لعومر، حيث كان عدد قليل من الجنود يقودون الأسرى ويحرسون الغنائم، فانقض عليهم ففروا ليلحقوا بالجيش تاركين الأسرى والغنائم. وهذا هو الدليل من التوراة ذاتها، فقد جاء فى الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين: «وقال ملك سدوم لأبرام: أعطنى النفوس، وأما الأملاك فخذها لنفسك، فقال أبرام لملك سدوم: رفعت يدى إلى الرب الإله العلى مالك السماء والأرض لا آخذ لا خيطا ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك، فلا تقول أنا أغنيت أبرام. ليس لى غير الذى أكله الغلمان، وأما نصيب الرجال الذين ذهبوا معى عاذر وأشكول وممرا فهم يأخذون نصيبهم» فهؤلاء كانوا حلفاء لإبراهيم، شاركوا برجالهم فى ملاحقة مؤخرة جيش كدرلعومر. أما ما زعمه مزورو التوراة عن نشوب معركة بين إبراهيم - عليه السلام - وبين جيش عيلام فإنما قصدوا به أن ينسبوا لمن يسمون بالعبرانيين - الذين يدعون انتسابهم إليهم - نصرا كبيرا على جيوش ضخمة سبق لها أن اجتاحت ممالك ومدنا وقرى لا حصر لها.

وتقول التوراة إنه لما عاد إبراهيم خرج ملك سدوم لاستقباله ومعه ملكى صادق ملك شاليم الذى أخرج خبزا وخمرا وكان كاهنا لله العلى، فباركه وقال: مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض الذى أسلم أعداءك فى يدك. وأعطاه عشرا من كل شىء (إبراهيم هو الذى أعطاه). وكانت سدوم وعامورة والمدن الثلاثة الأخرى تقع على مقربة مما كان يعرف بالطريق الدولى العظيم الذى كان يبدأ فى دلتا النيل، ويمتد بطول ساحل سيناء حيث يتفرع إلى مناجم النحاس والفيروز فى شبه الجزيرة، كما يتفرع إلى أراضى البخور فى جنوبى الجزيرة العربية[1]. وهنا كان يقترب من منطقة السديم حيث توجد المدن الخمس بملوكها

(١) فيليب حتى، المرجع السابق، ص ٦٤.

الفاسدين، وأعوانهم المنافقين وجيوشهم التى كانت قليلة العدد نسبيا، ولكنها كانت تكفى لترويع القوافل التى كانت تحمل سلعا ثمينة وبضائع ذات قيمة، مثل العاج والذهب من أفريقيا، والمر والبخور والتوابل من الهند وجنوبى بلاد العرب، والكهرمان والحرير من آسيا الوسطى والصين، فضلا عن المسافرين من التجار وغيرهم. وبطبيعة الحال فإن هذه القوافل كانت إما أن تدفع لهؤلاء الملوك مالا حتى يتركوها تواصل سيرها فى سلام، وإما ينهبونها ويستولون على ما تحمله لأنفسهم. مما عاد عليهم بمبالغ طائلة، وثروات هائلة انعكست على كافة جوانب حياتهم، من المسكن إلى المأكل إلى الملبس. وهو ما جعل لوطا يقول لهم: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾[1].

والمقصود بالسبيل هو الطريق التجارى العظيم، وليس طريقا أوطرقا أخرى مما يمر بين مدنهم، فهذه لم يكن يستخدمها غيرهم، وبالتالى فإنهم لم يكونوا يقطعونها، وذلك لسببين، الأول: وجود تحالف بين ملوك المدن الخمس كان من شأن قيام بعضهم بقطع سبيل البعض الآخر أو من يتبعهم أن يسقط هذا التحالف فتنشب الحرب بينهم. أما السبب الثانى فهو أن حصيلة قطع مثل هذه الطرق لم تكن مما يشجع على بذل أى جهد فضلا عن التضحية بالتحالف الذى يعود على الجميع بالنفع. فلو أن ملكا قطع الطريق على ملك آخر فهذا معناه اندلاع الحرب بينهما، أما إذا قطعه على العامة فإنه لن يجد معهم شيئا له قيمة، فضلا عن احتمال أن يعتبر الملك الذى يتبعه هؤلاء العامة أن ماحدث لهم إهانة له واستخفاف به فيقدم على إعلان الحرب على من فعل ذلك. وهذا ما لم يحدث، فقد عاشوا فى بحبوحة وترف لا تشغلهم غير ملذاتهم الحسية، وشهواتهم التى أسرفوا فى إشباعها إلى حد التخمة على ما سنرى.

## ملاحظات على نسبة القوم إلى لوط:

هؤلاء هم القوم الذين اختار لوط أن يقيم بينهم، قبل أن يبعثه الله تعالى

---

(١) العنكبوت: ٢٩.

إليهم لما تفشت الفحشاء فيهم. والذين أسماهم الله «قوم لوط» غير أن هناك بعض الملاحظات على ما ورد بكتب بعض المفسرين من آراء، منها ما يتعلق بهذه المسألة، ألا وهى: هل بعث الله لوطا منذ البداية لهداية هؤلاء القوم أم أنه بعثه بعد أن أقام فيهم زمنا وظهرت فيهم الفحشاء؟! ومنها ما يتعلق باشتقاقهم لاسم الشذوذ الجنسى من اسم لوط، بإطلاق اسم اللواط على ما يكون من علاقة جنسية بين ذكرين مما يؤدى إلى أن يفهم الناس أن لوطا نفسه كان يفعل ذلك، وهى إساءة بالغة إلى نبى كريم عانى الكثير من هؤلاء القوم فى محاولته المستميتة لصرفهم عن هذه الفاحشة التى لم يسبقهم إليها أحد من العالمين. وسنبدأ ببيان وجه الخطأ فى تسمية المفسرين والعلماء للشذوذ الجنسى باسم اللواط، وشيوع هذه التسمية وثباتها إلى حد يجعل من الصعب العدول عنها. ثم ننتقل من هذه المسألة إلى أخرى تتعلق ببعثة لوط إلى هؤلاء القوم، مما يقتضى أن نبحث فى علاقته بهم. وهل بدأت فى اليوم الذى انتقل فيه للعيش بينهم أم بدأت قبل ذلك، وبالتالى نعرج على مسألتين أخريين، هما: كم لبث فيهم - أى أقام بينهم - وما هى اللغة التى كان يتكلم بها إليهم أو يتكلمون بها.

## ١ - اشتقاق اسم اللواط من لوط:

جرت عادة الفقهاء والعلماء المسلمين على تسمية الشذوذ الجنسى باللواط، وجاء فى لسان العرب أن الناس اشتقوا من اسم لوط فعلا لمن فَعَلَ فِعْلَ قومه. وهو الفعل الذى يسميه العلماء الغربيون تحديدا وتمييزا له عن غيره من السلوك الجنسى الشاذ Homosexuallty (الجنسية المثلية) وكلمةHomos أصلها إغريقى ومعناها: المثل أوالنوع نفسه[1]. ويعنون بها قيام علاقة جنسية بين فردين من نفس النوع، أى ذكرين أو أنثيين.

وواضح أن اشتقاق الفعل من اسم لوط عمل يفتقر إلى الدقة، بل هو خطأ كبير ما كان يجوز الوقوع فيه؛ لأنه - بلا أدنى ريب - يوحى بأن لوطا كان هو

(١) Ronald M. Holmes, Sex Crimes, P 47

الشاذ جنسيا وليس قومه. ذلك لأن الصواب هو نسبة السلوك إلى من عرف عنه ممارسته، مثال ذلك السادية، وهو الوصف الذى يطلق على من يمارسون الجنس مصحوبا بالعنف والإيذاء، والذين تصدر عنهم أفعال الإيذاء بدافع جنسى، حتى ولو لم تكن مصحوبة بالمعاشرة الجنسية، فهى - أى السادية - نسبة إلى المركيز «دو ساد» الذى عرف عنه القيام بتعذيب ضحاياه من النساء استجلابا للمتعة الجنسية[1] وفى غير هذا المجال الخاص جدا نلاحظ أن المذاهب والآراء وغيرها تنسب إلى من أسسوها أو صدرت عنهم، فنقول: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، وغيرها. وفى الغرب يقولون: الداروينية نسبة إلى دارون، والفرويدية نسبة إلى فرويد، وهكذا. فلا يصح أن نقول: اللوطية لوصف الشواذ جنسيا، وإنما نقول كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «**من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه**» ولم يقل: من رأيتموه يعمل عمل لوط، حتى نقول نحن: اللواط، واللوطية، وغير ذلك.

ولعل التسمية الغربية لهذا الضرب من الشذوذ الجنسى هى الأقرب إلى الصواب؛ فهم يسمونه سودومىSodomy فى الإنجليزية[2] اللواط، مضاجعة الذكور Sodomite، اللوطى، مضاجع الذكور، وذلك نسبة إلى Sodom التى جاء بالقاموس أنها مدينة بفلسطين القديمة دمرها الله لانغماسها فى الرذيلة والفساد، كما تطلق الكلمة على ما يكون موطنا للرذيلة والفساد. وكذلك فى الفرنسية Sodomie: مضاجعة ذكور[3].

---

(١) واسمه دوناتيان ألفونس فرانسوا، ماركيز دو ساد. ولد فى عام ١٧٤٠ وتوفى فى عام ١٨١٤ ميلادية، نبيل فرنسى يحمل لقبا من الألقاب الملكية، وهو لقب المركيز، مارس الكتابة، وحكم عليه بالسجن أكثر من مرة لارتكابة جرائم التعذيب. واضطر إلى الهرب إلى إيطاليا ذات مرة لكى يفلت من عقوبة الإعدام. وفى روايته التى نشرها تبريرات كثيرة لسلوكه الشاذ، وقد اشتق من اسمه الوصف الذى أطلق على السلوك الجنسى المقترن بتعذيب الإنسان لشريكه فى العلاقة الجنسية.

(٢) انظر قاموس (المورد) حيث جاء به ترجمة لهذه الكلمة.

(٣) انظر قاموس (المنهل) حيث جاء فيه أن معناها لواط.

ولقد جرت العادة ـ لفترة طويلة ـ على إطلاق وصف الشذوذ الجنسى على العلاقات الجنسية بين أى فردين من نوع واحد. ولكن بعد أن كشف العلم عن وجود أشكال عديدة من السلوك الجنسى ينطبق عليها وصف الشذوذ، مثل الميل إلى الكشف عن العورة، واختلاس النظر إلى النساء فى الأماكن التى يتخففن فيها من ثيابهن، وعشق بعض متعلقاتهن وسرقتها مثل الملابس الداخلية والأحذية، والتلذذ جنسيا من تعذيب الآخرين، أو التلذذ من تلقى التعذيب، ومعاشرة الحيوانات، والاستمناء، وغير ذلك من أشكال السلوك الجنسى غير السوى، فإن الدقة العلمية اقتضت التفرقة بين العلاقة الجنسية بين فردين من نوع واحد وبين العلاقات الأخرى، فأطلق العلماء الغربيون وصف «الجنسية المثلية» على كل من اللواط والسحاق. وبرر البعض[1] ذلك بأن وصف هذه العلاقات بالشذوذ يفتقر إلى الضبط وتعوزه الدقة؛ لأن اعتبار السلوك شاذا لا يصح إلا إذا كان من يمارسونه أقلية، بمعنى أنه إذا كانت الأغلبية تمارس سلوكا آخر تعتبره هو السلوك السوى، فإن ما عداه يعد سلوكا شاذا، وبالتالى فإن شيوع وانتشار هذا السلوك يجعله سويا؛ لأن الغالبية تقبلته ورضيت به، فإذا انتشرت «المثلية الجنسية» وسادت فى مجتمع ما فإنها تعتبر سلوكا سويا وما عداها هو الشاذ. وهذا كلام غريب لا يصح أن يصدر عن إنسان عاقل فضلا عن عالم؛ لأن المعول عليه فى اعتبار السلوك سويا أو شاذا ليس الشيوع والانتشار، بل اتفاقه أو اختلافه مع الأغراض التى وجد من أجلها، فإذا كان لا يحققها فإنه يكون شاذا، فالجنس وجد من أجل التناسل وليس من أجل الاستمتاع المجرد من أى غاية، واقتران الممارسة الجنسية بالمتعة إنما قصد بها من ناحية التخفيف مما يصاحبها من معاناة وإرهاق وتعب، ومن ناحية أخرى الاندماج الوجدانى والتفاعل العاطفى بين طرفيها، ومن ثم لا يصح إهمال الغرض الأساسى وهو التناسل إلى أغراض فرعية أو مساعدة للغرض الأصلى، وإلا كان هذا شذوذا خطيرا من شأنه أن يهدد وجود المجتمع وينذر بفنائه بعد حين، فضلا عما يؤدى إليه من فساد شديد.

(1) James D. Page Psychopathology. The Science of undrestanding Deviance Second Edition. P 353.

وليس من شك فى أن هذا الكلام كان له أكبر الأثر فيما حدث من تفشٍّ شديد للجنسية المثلية ولغيرها من الانحرافات الجنسية فى الغرب، وهى الانحرافات التى بدأت تظهر عندنا نتيجة لمشاهدة الشباب لأفلام الجنس، سواء عن طريق أجهزة الفيديو، أو عن طريق الأطباق التى تلتقط ما تبثه القنوات الفضائية.

وهكذا يتضح لنا أنه ليس هناك ما يمنع من العدول عن تسمية هذا الضرب من الشذوذ باللواط إلى تسميته بالسودومية نسبة إلى مدينة سدوم، خاصة وأن معظم المفسرين المسلمين اعترفوا بهذا الاسم الذى ورد فى التوراة، على الرغم من أن القرآن خلا من اسم هذه المدينة كما سبق أن بينا.

## علاقة لوط بأهل سدوم:

إن نسبة هؤلاء القوم الذين كانوا يقيمون فى سدوم إلى لوط، وتسميتهم فى القرآن الكريم بقوم لوط، وذلك فى كل السور التى اشتملت على آيات مما يخص لوطا وقومه هو من الأمور الهامة لما لها من دلالة، لا أدرى كيف خفيت على فطنة غالبية المفسرين. ففى سورة الأعراف التى اشتملت على خمس آيات تحدثت عن قصة لوط نلاحظ أنه سبقت هذه القصة ولحقتها قصص أخرى لعدد من الأنبياء والرسل الذين واجهوا رفضا شديدا من جانب أقوامهم، ومعارضة عنيدة لما جاءوهم به من الهدى والرشاد وتهديدا بالإيذاء أو إيذائهم بالفعل. غير أن استهلال ذلك القصص بقوله تعالى: وإلى قوم كذا أخاهم فلانا، من الأنبياء. ففيما عدا نوحا الذى لم تبدأ قصته بهذه الطريقة وإنما بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾[1].

والسبب هنا واضح وهو أنه لم يوجد فى ذلك الوقت ـ على وجه الأرض ـ غير قوم نوح، أما بعد ذلك فنلاحظ أن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[2].

---

(١) الأعراف: ٥٩.

(١) الأعراف: ٦٥ وكذلك هود: ٥٠.

أى أن القوم الذين كان ينتمى إليهم هود كان اسمهم عادا، وقوله تعالى: (أخاهم) تعنى أنه كان عضوا فى مجتمعهم تربطه بهم علاقة قرابة أو نسب. ويقول الزمخشرى[1]: (أخاهم) واحدا منهم، من قولك: يا أخا العرب للواحد منهم، وإنما جعل واحدا منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله فى صدقه وأمانته. كذلك قال: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾[2].

ولها نفس المعنى السابق، إلى أن نأتى للوط فيقول تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾[3].

ولم يقل: إلى سدوم أخاهم لوطا، وسدوم ـ كما سبق أن ذكرنا ـ هى القرية التى قيل إن أهلها هم المعنيون فيما ورد بارتكاب الفحشاء، ثم يعود ليقول: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[4].

وهذا يدل على أن لوطا لم يكن أخا لأهل سدوم، إن صح أنها قرية مرتكبى الفحشاء. ولكنه وفد عليهم من منطقة أخرى. وهذه حقيقة أثبتها القرآن الكريم فى قوله تعالى فى قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[5].

ويقول رشيد رضا[6]: إن لوطا ـ قبل أن يذهب إليهم ليقيم بين ظهرانيهم ـ كان يقيم فى (أور الكلدانيين) التى كانت تقع فى طرف الجانب الشرقى من جنوب العراق فيما أصبح يعرف بالبصرة، وهى بابل القديمة، وأنه بعد موت والده ـ وكان اسمه (هاران) ـ وهو ـ فى الوقت نفسه ـ أخ لإبراهيم ـ عليه السلام ـ سافر معه، أى مع إبراهيم، وكان قد آمن معه بالإله الواحد ـ إلى ما

(١) المجلد الثانى، ص ٨٦.
(٢) الأعراف: ٧٣
(٣) سورة الأعراف، من الآية: ٨٠ والعنكبوت: ٢٨
(٤) الأعراف: ٨٥
(٥) الأنبياء: ٧٠، ٧١
(٦) المرجع السابق، ج ٨ ص ٤٥٢

بين النهرين الذى كان يسمى جزيرة (فورا) ومنه ما يسمى الآن بجزيرة ابن عمر، وهو مكان يحيط به نهر دجلة، حيث كانت تقع مملكة آشور، ومنها سافرا إلى أرض كنعان من بلاد الشام.

أما عن السبب الذى من أجله ذهب لوط إلى سدوم ليقيم فيها تاركا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وحده حيث أقام، فقد قيل إن خلافا نشب بين إبراهيم ولوط ـ عليهما السلام ـ افترقا على أثره، فرحل لوط إلى الأرض التى تقع فى الشرق من نهر الأردن ليقيم بها، وقيل إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو الذى أشار عليه بذلك نظرا لما كانت تتميز به المراعى فى ذلك المكان من جودة عالية، فضلا عن الزراعة. والقصة كما جاءت فى التوراة[1] أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما انتقل إلى حاران ومعه لوط وأقاما فيها كلمه الله فأمره بأن ينتقل إلى أرض كنعان «فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط. وكان أبرام ابن خمس وسبعين لما خرج من حاران، فأخذ أبرام سارى امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، وبعد أن أمضى إبراهيم فترة فى كنعان حدثت مجاعة شديدة فرأى أن يذهب ومعه أهله ـ ومنهم لوط ـ إلى مصر حيث أقام بعض الوقت، ثم عاد إلى كنعان ومعه ثروة كبيرة من الغنم والبقر والحمير والعبيد والإماء، وكذلك لوط. وفى التوراة أيضا[2]: «ولوط السائر مع أبرام له أيضا غنم وبقر وخيام. ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معا. إذ كانت أملاكهما كثيرة فلم يقدرا أن يسكنا معا».

مما تقدم ومن غيره نلاحظ أن لوطا ـ عليه السلام ـ لم يكن من سكان هذه المنطقة الأصليين، وأنه انتقل إليها ليقيم بينهم بعد أن اختلف مع عمه إبراهيم، فاقترح عليه أن يقيم فى ذلك المكان. فهو إذًا غريب عنهم، قدم من العراق إلى الشام أو ما أصبح يعرف بفلسطين.

كذلك فإنه لم يكن قد بعث حين انتقل للإقامة فى سدوم، وذلك لسبب

---

(١) تكوين، إصحاح ١٢.

(٢) تكوين، إصحاح ١٣.

بسيط هو أن الفاحشة لم تكن قد ظهرت فى أهلها، وإنما كانت بعثته بعد ذلك بوقت طويل أمضاه بينهم، فعرفهم وعرفوه بحيث أصبح من الجائز أن يقول عنه القرآن إنهم قومه، أما قبل ذلك فلا. وهذا أمر منطقى.

وهناك دليل هام على أن الفاحشة لم تكن قد ظهرت فى أهل سدوم فى الوقت الذى انتقل فيه لوط للإقامة بين ظهرانيهم. فعندما وقع لوط أسيرا فى أيدى الملك كدرلعومر وحلفائه الملوك الثلاثة، وقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ بمطاردتهم حتى لحق بهم فأوقع بهم الهزيمة واسترد لوطا ومعه أموال ورجال «بارع» ملك سدوم، وعاد بالجميع، بادر إلى رد الأموال والرجال إليهم. فلو أنه كان يعلم أنه ورجاله يرتكبون الفاحشة لتصرف على نحو آخر تماما، كأن يقبل ما عرضه عليه من الاحتفاظ بالأموال ورد الرجال، حيث إن هذه الأموال تلعب دورا هاما فى ممارسة الفاحشة، فلا أقل من أن يحرمه منها، بل أرجح أنه لو كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ يعلم أن رجال سدوم يأتون الفاحشة ما خلصهم من أسر كدرلعومر ملك عيلام ولتركهم له يفعل بهم ما يشاء، وغالبا كان سيقتلهم، وهذا هو ما كانوا يستحقونه، ولكنه استردهم منه، وأعادهم إلى ملكهم وبلدهم.

كذلك لو أن لوطا كان قد عرف عنهم ارتكابهم الفاحشة وتفشيها فيهم لما تردد فى إطلاع عمه إبراهيم على الأمر وتشاور معه فى شأن إطلاق سراح الأسرى من رجال سدوم وإعادتهم إلى الملك، أو على الأقل لانتهز فرصة وجوده مع عمه فطلب منه ألا يعيده إلى القرية الفاسدة، ولكنه لم يفعل لا هذا الأمر ولا ذاك، وإنما عاد ليستأنف حياته بين أهلها.

ومما يؤكد أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يكن يعلم أن الفاحشة قد استشرت فى سكان سدوم أنه لما جاءته البشرى بقرب إنجاب سارة لابنهما إسحق ثم أخبرته الملائكة بما ستنزله بقوم لوط من عذاب جادلهم فى ذلك. يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾[1].

يقول ابن كثير[2]: إنه لما ذهب عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ الروع، وهو ما

(١) هود: ٧٤.

(٢) المرجع السابق، ج ٤ ص ٢٦٦.

أوجس من الملائكة خيفة حين لم يأكلوا، وبشروه بعد ذلك بالولد، وأخبروه بهلاك قوم لوط، أخذ يقول ـ كما قال سعيد بن جبير فى الآية ـ قال: لما جاءه جبريل ومن معه قالوا له: ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾[1]، قال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا. قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا؟ قالوا: لا. قال: ثلاثون؟ قالوا: لا، حتى بلغ خمسة، قالوا: لا. قال: أرأيتكم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا. فقال إبراهيم ـ عليه السلام ـ عند ذلك: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾[2]. الآية، فسكت عنهم واطمأنت نفسه. وقال قتادة وغيره قريبا من هذا.

وهذا الذى قاله سعيد بن جبير وغيره قريب مما ورد فى التوراة، مما يدل على أنهم نقلوه عن اليهود مع بعض التعديلات الضرورية، حيث إن الذين زوروا فى كثير مما اشتملت عليه التوراة زعموا أن الكلام كان بين إبراهيم وبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى كان قد حضر مع الملائكة! تقول التوراة: «ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم، وكان إبراهيم ماشيا معهم ليشيعهم، فقال الرب: هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض؛ لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده أن يحفظا طريق الرب ليعملوا برًّا وعدلا؛ لكى يأتى الرب لإبراهيم بما تكلم به. وقال الرب: إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر، وخطيتهم قد عظمت جدا. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلىّ وإلا فأعلم.

وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم، وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب. فتقدم إبراهيم وقال: أفتهلك البار مع الأثيم؟ عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة، أفتهلك المكان ولا تصفح عنهم من أجل خمسين بارًّا الذين فيه. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم، فيكون

(١) سورة العنكبوت، من الآية: ٣١
(٢) سورة العنكبوت، من الآية: ٣٢

البار كالأثيم. حاشا لك، أديان كل الأرض لا يصنع عدلا. فقال الرب: إن وجدت فى سدوم خمسين بارا فى المدينة فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم»[1].

وظل إبراهيم ـ عليه السلام ـ ينزل بعدد الأبرار من سكان سدوم حتى بلغ به عشرة أبرار. وواضح أن المفسرين لم يجدوا ما يفسرون به ما جاء بالقرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾[2]. غير ما جاء بالتوراة فى هذا الشأن، والذى وإن كان ظاهره لا يتعارض مع القرآن غير أن معنى الجدل يتسع ليشمل غير ما ورد بالتوراة من كلام، وإن صح بالنسبة للبشر، فإنه لا يصح فى حق الله تعالى الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفيه الصدور، فما بالنا بعدد الأبرار الذين يوجدون فى سدوم؟! وها هو إبراهيم نفسه يقول لله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[3].

فكيف يجادله فى عدد الأبرار الذين يوجدون فى سدوم وكأنه سبحانه لا يعلمه؟!. إن الأقرب إلى التصور أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ جادل فى شأن العفو عنهم لعلهم يتوبون وتنصلح أحوالهم وهو لا يدرى بالمدى الذى وصل إليه فسادهم، فقد كان ـ عليه السلام حليما أوّاهًا ولم يكن ـ كما صوره اليهود فى التوراة ـ فظا قاسيا غليظ القلب.

ولا شك فى أن النصر الذى أحرزه إبراهيم ـ عليه السلام ـ على أعداء «بارع» ملك سدوم قد عزز مكانة لوط فى سدوم، ورفع من شأنه فى أعين الناس، فأصبح من السهل اعتباره مواطنا من مواطنى سدوم وعضوا فى مجتمعها. ولقد قيل إنه تزوج منهم، وأنجب من زوجته السدومية بنات زوج بعضهن ـ فيما بعد ـ بشباب من أبناء أسرها الكبيرة. وهو ما لا نستبعد حدوثه، فقد كان مستوفيا لكل

(١) تكوين، إصحاح ١٨
(٢) سورة هود، الآية: ٧٤
(٣) إبراهيم: ٣٨

الشروط التى تراعى مثل هذه الأسر توفرها فيمن يرغب فى مصاهرتها وهى المال الوفير والأصل العريق والسمعة الطيبة! وإن كنا نشك فى أن يكون لهذا الشرط قيمة أصلا لدى هؤلاء القوم أو لدى أغلبهم، فى الوقت الذى حدثت فيه المصاهرة. وبالتالى فإنه يصعب تصور أن يكون لوط قد علم بأن القوم يأتون الفاحشة رجالا ونساء ثم يتزوج منهم ويزوج بناته لشباب من أبناء أسرها الكبيرة؟! بالطبع لا. وإنما الحقيقة أنه لم يكن يعلم بهذا الأمر، وذلك إما لأن الفاحشة لم تكن قد ظهرت بعد فى القوم، وإما لأنها كانت فى بدايتها يمارسها عدد قليل منهم فى الخفاء، وبالتالى لم يعلم بها لوط الذى نرجح أنه كان يقيم فى بيت فى ضواحى المدينة يشرف على المكان الذى تتجمع فيه أغنامه ومواشيه التى كانت كثيرة جدا حسب ما جاء فى التوراة. وإن كنا لا نستبعد احتمال حدوث مبالغة فى تصوير ثروة كل من إبراهيم ولوط ـ عليهما السلام ـ من جانب الذين زوروا التوراة.

وإذا كان انتصار إبراهيم ـ عليه السلام ـ على ملك عيلام وحلفائه قد عزز مكانة لوط فى سدوم، فإنه أثر بدرجة كبيرة فى أوضاع وأحوال مجتمع هذه المدينة وغيرها من المدن الأخرى المجاورة لها. فمن ناحية وفر لها الأموال التى كانت تؤديها لملك عيلام، فضاعف ذلك من ثرائها. ومن ناحية أخرى أصبحت بمأمن من عدوانه عليها، مما أتاح لها أن تعيش فى سلام وأمن لفترة طويلة مال فيها الناس إلى الراحة وألفوا الدعة، واعتادوا على الاستمتاع بملذات الحياة وطيبات العيش إلى درجة التخمة التى لا تلبث أن تبعث فى النفوس إحساسا بالملل.

وأتخيل الآن ـ وأنا أكتب هذا الفصل ـ ملك سدوم المدعو «بارع» وهو يفرك يديه سرورا عشية هزيمة أعدائه وعودة رجاله إليه، واسترداده لأمواله قائلا لمن حوله ونظرته تتألق بالفرحة: هذه آخر الحروب، وسنحيا فى أمان وفى رغد من العيش، ثم يتبادل الجميع الأنخاب وهم يرقصون فى سعادة ويتمايلون فى نشوة، وقد غفلوا ـ أو بالأحرى غفل الملك ـ عن أمر هام جدا وهو أن زوال الخطر

الذى كان يشغل الناس سيؤدى إلى ظهور مشكلات أخرى من شأنها أن تهدد وجود الملك نفسه على رأس هذه المملكة الصغيرة.

وربما يكون وجود لوط نفسه فى سدوم مصدرا لبعض هذه المشكلات، باعتباره ـ فى شخصيته وسلوكه وعلاقاته ـ أنموذجا فريدا يناقض تماما الأنموذج الذى يمثله الملك، وبالتالى فإن الناس قد يتخذونه قدوة لهم فيفسد الأمر على الملك. كان لوط يجسد الفضائل، فلو أن الحاكم وافقه على ما يمثله ويجسده من هذه الفضائل لظهر أمام الناس كما لو كان تابعا له، خاصة مع ما سبق من نجدة إبراهيم له، والملك لا يضمن أن يقف لوط عند حدود التصرف وفقا لما تمليه الفضيلة فربما يغريه التفاف الناس حوله ومحاكاتهم له بالانقلاب عليه والاستيلاء على الحكم.

فبماذا يواجهه الحاكم بحيث يجعل الناس ينفضون من حوله ويفقدون إعجابهم به ويكفون عن محاكاتهم لسلوكه وتقليدهم لتصرفاته؟ وجد الحاكم الحل فى المتع والملذات فأطلقها من عقالها، وشجع الناس على أن يغترفوا منها مبررا ذلك بأنهم عانوا كثيرا من الحرب والخوف والحرمان وآن لهم أن يعيشوا كما يعيش غيرهم، فصدقه الناس، وأقبلوا بكل ما لديهم من حماس على الملذات يعبون منها عبا: النساء، والخمر، والميسر، والرقص، والغناء، وارتداء أفخر الثياب، وتناول أفضل الأطعمة، وإقامة الاحتفالات الصاخبة لأتفه المناسبات!

وهكذا غرق الناس فى الفساد حتى الأذقان، ونسوا لوطا الذى كان بدوره لا يعيرهم اهتمامه، وذلك لسببين، الأول: أنه وافد عليهم وغريب عنهم؛ فلا يحق له أن يتدخل فى شئونهم أو يعترض على تصرفاتهم. أما السبب الثانى فهو أن الله تعالى لم يكن قد بعثه إليهم بعد، وبالتالى لا يعرف بماذا سيبعث، بل ربما تكون فكرة النبوة لم تخطر على باله أصلا حتى ذلك الوقت، ولا تطلع إلى أن يكون نبيا؛ لأن هناك عمه إبراهيم الذى يأتيه الوحى منذ أن كانوا فى أور الكلدانيين.

ومضت الأيام والناس يعبون من الملذات عبا، ويغترفون من الشهوات اغترافا، حتى أصابهم الملل من النساء، فبدأوا يبحثون عن الجديد الذى يشحذ شهيتهم ويشبع شهوتهم إلى أن وجدوا ضالتهم فى الغلمان، فأقبلوا عليهم، وشيئا فشيئا توسعوا فأضافوا الرجال، وأصبحوا يأتون الفاحشة فيما بينهم. وبعد أن كان الأمر يجرى خفية أمسى يجرى علانية فى أنديتهم، وانصرفوا تماما عن النساء، فما كان من هؤلاء النساء إلا أن استغنين عن الرجال بممارسة السحاق.

من الواضح أن هذه التطورات استغرقت زمنا ليس بالقصير، وهذا أمر طبيعى؛ لأن الفساد ـ فى أى صورة من صوره ـ لا يظهر فجأة، ولا يستشرى بغتة، بل يبدأ قليلا فإذا لم يواجه بحزم أخذ يزيد حتى يعم. كذلك فإنه يبدأ خفية ومع التزام الحذر من جانب مقترفيه، فإذا لم يتم الضرب على أيديهم ازدادوا جرأة وجاهروا به، واجتمعوا على الرافضين للفساد فاضطهدوهم وعزلوهم بمبررات شتى، منها أنهم رجعيون ومتزمتون، وأعداء للنجاح، وخصوم للتقدم. ومنها أيضا أنهم مجرمون يهددون أمن المجتمع، ويتربصون برفاهيته.

فما هى المدة التى لبثها لوط فى سدوم منذ أن انتقل إليها ليقيم بين ظهرانى سكانها إلى الوقت الذى خرج فيه منها قبل أن يدمرها الله تعالى ويجعل عاليها سافلها؟ الملاحظ أن التوراة، على الرغم من إطنابها فى وصف ما حدث لإبراهيم ولوط ـ عليهما السلام ـ منذ أن خرجا من أور الكلدانيين إلى حران ومنها إلى أرض كنعان، لم تهتم ببيان المدة التى لبثها إبراهيم أو لوط فى موطنيهما الجديدين. وإذا كانت قد اهتمت ببيان العمر الذى بلغه إبراهيم ـ عليه السلام ـ سواء يوم خروجه من أور، أو يوم سفره إلى مصر، أو يوم مولد ولديه إسماعيل ثم إسحق، مما يمكن أن يساعد فى تحديد المدة التى لبثها هو أو لوط فى الموطن الجديد لكل منهما، إلا أن بيان العمر هذا أبعد ما يكون عن الدقة بل وعن الحقيقة. وهما عيبان يعرفهما كل من يقرأ التوراة بإمعان، ويحاول أن يستفيد مما ورد فيها من مثل هذه المعلومات لبلوغ غاية معينة كهذه التى نحن بصددها.

أما القرآن الكريم فإنه وإن كان لم يتعرض لمثل هذه التفاصيل إلا أنه بـ

اشتملت عليه الآيات الخاصة بقصة لوط من تطورات واضحة نبهنا إلى أن الأمر لم يستغرق شهورا أو بضع سنين، وإنما استغرق زمنا طويلا يصل إلى عشرات السنين. وهو ما يمكن الاستدلال عليه من تحذير لوط لهم، ونهيه إياهم عن إتيان الفاحشة، وتكرار ذلك بصيغ مختلفة تدل على اختلاف المناسبات التى صدر فيها التحذير، وحدث النهى، وتدل أيضا على توفر معلومات أكثر لدى لوط عن أفعال قومه المشينة، فإنه لما علم بما يرتكبونه من فاحشة قال لهم مستنكرا: أتأتون الفاحشة؟! ما سبقكم بها من أحد من العالمين! ثم أضاف وهو فى غاية العجب: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾(١).

فلما علم أنهم يأتون الفاحشة على مرأى من بعضهم البعض قال لهم: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ؟! ﴾(٢).

فلما تأكد له أنهم يفعلون ذلك فى ناديهم حيث اعتادوا أن يجتمعوا قال لهم: وتأتون فى ناديكم المنكر!. وكان قد علم أنهم جمعوا إلى الفحشاء قطع الطريق على السابلة، فقال لهم: ﴿ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾(٣).

وفى مرحلة لاحقة لم يقتصروا على الرجال فى إتيان الفاحشة، بل تمادوا فارتكبوها مع من لم يبلغوا مرحلة الرجولة من الصبية والغلمان فقال لهم: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾(٤).

وهكذا بلغوا فى انحطاطهم الحضيض، فلو أنه كان هناك أمل - ولو ضيئلا - فى أن يأتى بعدهم جيل يمكن أن تتغلب فطرته على دوافع الفحشاء بحيث

(١) الأعراف: ٨١
(٢) النمل: ٥٤
(٣)العنكبوت: ٢٩.
(٤) الشعراء: ١٦٥، ١٦٦.

ينصرف عنها كله أو بعضه، فإنهم بإتيانهم الصبية والغلمان ـ فضلا عن الرجال ـ حالوا دون تحقق ذلك الأمل، وحكموا على المجتمع كله ـ فى حاضره ومستقبله ـ بأن يظل أسيرا لهذه العادة السيئة، يتوارثها جيل عن جيل، ويعللون ذلك قائلين: وجدنا آباءنا يفعلون ذلك وإنا على دربهم ماضون! لذلك لم يكن هناك من حل لمشكلتهم غير الإبادة، ومنعا من تأثر غيرهم بهم وبخاصة جيرانهم فى المدن القريبة التى كانت سدوم بمثابة العاصمة بالنسبة لها. ولقد قيل إن سكان إحدى هذه المدن ـ وهى عامورة ـ ارتكبوا الفاحشة أيضا متأثرين فى ذلك بجيرانهم سكان سدوم.

كذلك فإن لمعرفة المدة التى لبثها لوط فى سدوم أهمية ملحوظة؛ لأنه يتوقف عليها تحديد أمور عديدة، منها تعلمه لغتهم، إذا كان لا يعرفها، ومنها أيضا تحديد المدة التى إذا أقام فيها الشخص فى مدينة أو فى قرية فإنه ينسب إليها وتنسب إليه. ومنها كذلك كون المدة كافية أم لا؛ لكى يحيط الشخص إحاطة تامة بما يسود المجتمع الذى انتقل للإقامة فيه، من عادات، وأعراف ،وتقاليد، وما يوجد فيه من نظم ومؤسسات، وأيضا فضائله ورذائله؛ حتى لا يخطىء التصرف فتكون عاقبته وخيمة. ولا شك أن درجة تأصل الجرم فى النفوس تلعب دورا فى تحديد المدة التى تستغرقها الدعوة. فنوح ـ على سبيل المثال ـ لبث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين، بينما لم تزد المدة التى لبثها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن عشرين عاما، انتهت وقد نصره الله على المشركين، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس فى دين الله أفواجا. وذلك على خلاف أقوام نوح وعاد وثمود ولوط ومدين الذين أبوا أن يستجيبوا لما دعاهم إليه أنبياؤهم، واستكبروا على الله، فكانت عاقبتهم الهلاك.

وكما نعلم فإن الانحرافات الفكرية والسلوكية لا تتوقف بانتصار العقيدة وسيادة الشريعة وانتشار الأخلاق التى يتكون منها الدين، وإنما تظهر بين الحين والحين ضروب من الأفكار، وأشكال من السلوك تناقض ما جاء به الدين من هذه الأمور، مما يتطلب يقظة مستمرة من أتباعه المخلصين، وجهودا دائبة لمواجهة

المنحرفين والمخدوعين والمضللين؛ حتى لا تعود الأمة إلى ظلمات الجهل والكفر والفساد. وهنا تظهر أهمية أن نعرف ما يحتاج إليه الدعاة إلى الله ـ سواء من الوقت أو من الإمكانات أو المهارات والقدرات ـ لكى يقوموا بمهمتهم على خير وجه. وفيما يلى نحاول التعرف على المدة التى قضاها لوط فى سدوم.

## رابعا ـ المدة التى لبثها لوط فى سدوم:

على الرغم من أن قصة لوط جاءت ضمن سياق قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وبالذات فيما يتعلق بظهوره، ورحيله إلى كنعان، وسفره إلى مصر، وعودته منها، ثم انتقاله للإقامة فى سدوم، فإن ذلك قد أفاد كثيرا فى معرفة المدة التى لبثها فى تلك القرية الظالمى أهلها. والتى قدرناها بخمسين سنة، وقد تزيد، قضاها بين ظهرانى هؤلاء القوم، وهو ما سنحاول إثبات صحته فيما يلى:

١ ـ أن لوطا خرج مع عمه إبراهيم ـ عليهما السلام ـ من أور الكلدانيين إلى حاران ومعهما سارة زوجة إبراهيم، وآخرون منهم ناحور أخو إبراهيم الذى تزوج من ملكة بنت أخيه هاران وأخت لوط. حيث كان يجوز ـ فى ذلك الوقت ـ للعم أن يتزوج بابنة أخيه. وتزعم التوراة أن أبا إبراهيم ـ الذى قالت إن اسمه تارح ـ كان معهم، وأنه مات فى حاران. ونحن نعلم من القرآن الكريم أن اسم هذا الرجل آزر:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾[1].

ويقول رشيد رضا[2] فى هذا الاختلاف بين الاسمين: «ومن الغريب أن نرى أكثر المفسرين والمؤرخين واللغويين يقولون إن اسمه (تارح) ـ بالحاء المعجمة أو المهملة ـ وإن آزر لقبه، أو اسم أخيه، أو أبيه، أو صنمه، ونقل عن الزجاج والفراء أنه ليس بين النسابين والمؤرخين اختلاف فى كون اسمه تارخ أو تارح. ولا نعرف لهذه الأقوال أصلا مرفوعا إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا

(١) الأنعام: ٧٤.

(٢) المرجع السابق، ج ٧ ص ٤٤٧.

منقولا عن العرب الأولين، وإنما هو منقول فيما يظهر عمن دخل فى الإسلام من أهل الكتاب كوهب بن منبه وكعب الأحبار اللذين أدخلا على المسلمين كثيرا من الإسرائيليات، فتلقوها بالقبول على علاتها».

والمعروف أن إبراهيم خرج من موطنه فى أور الكلدانيين وهو شاب صغير بعد ما حدث له مع ملكها الذى أراد أن يحرقه بعد أن حطم الأصنام التى يعبدونها من دون الله، ثم جهره بعبادة الله الأحد فى الجدل الذى دار بينه وبين الملك، والذى انتهى بهزيمة هذا الملك. أى أن إبراهيم كان على أكثر تقدير فى الخامسة والعشرين من عمره. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾[1].

أى أن إبراهيم كان فى مرحلة العمر التى يطلق فيها على الإنسان وصف (فتى) وهى التى تبدأ بالبلوغ وتنتهى مع بداية مرحلة الرجولة، ويقال للفتى شاب أيضا[2]. ولم تذكر التوراة شيئا عن عمر إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما خرج من أور الكلدانيين، ولا عن عمر لوط أيضا، الذى يبدو لنا أن سنه كانت مقاربة لسن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ حيث جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3]. وهو ما يفهم منه أن لوطا كان قد بلغ رشده هو الآخر، يدرك معنى ما يقوله عن الكفر

(١) الأنبياء: ٥١ - ٦٠.

(٢) ابن منظور (لسان العرب) وانظر ابن كثير، المرجع السابق، ج ٥ ص ٣٤٣.

(٣) العنكبوت: ٢٦.

والإيمان والهجرة إلى الله تعالى. ولكن التوراة ذكرت سن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما ترك (حاران) إلى كنعان، فقالت: «وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران». فلو افترضنا أنه كان فى الخامسة والعشرين من عمره لما خرج من أور الكلدانيين فمعنى ذلك أنه قضى فى حاران خمسين عاما لا ندرى ماذا كان يفعل فيها، بعد كل ما عاناه فى موطنه من اضطهاد وتهديد وخوف ثم إلقاء فى النار لحرقه والتخلص منه. وهل ظل كل هذه المدة ينتظر أن يأتيه الوحى من السماء ليبلغه ما يجب عليه أن يفعله ولكن بلا طائل حتى بلغ الخامسة والسبعين، وفجأة نزل عليه الوحى ليأمره بالخروج من حاران إلى كنعان، فخرج ومعه سارة التى كان اسمها ـ حتى ذلك الوقت ـ (سارای) ولوط؟! والإجابة على هذا السؤال هى بالنفى طبعا، فإبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يترك موطنه ليقيم فى حاران كل هذه المدة، وإنما تركه لينتقل إلى أرض أخرى هى مقصده، وبالتالى فإن إقامته فى حاران لم تزد على عشرة أعوام على أبعد تقدير. ثم انتقل إلى كنعان.

وفى مكان يسمى شكيم فى كنعان بقى إبراهيم ومن معه بعض الوقت، ثم انتقلوا إلى بيت إيل، وشرقوا وغربوا فى المنطقة فترة من الزمن لم تحددها التوراة. ثم حدثت مجاعة فى بلاد كنعان، فاضطروا إلى الهجرة إلى مصر، حيث بقوا فيها مدة لم تحددها التوراة، وإنما علمها عند الله، ثم عادوا من مصر إلى كنعان، ومع كل منهما الثروة الكبيرة التى سبق أن بيناها نقلا عن التوراة التى تقول: « فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشى أبرام ورعاة مواشى لوط. وكان الكنعانيون والفريزيون حينئذ ساكنين فى الأرض، فقال أبرام للوط: لن تكون مخاصمة بينى وبينك وبين رعاتى ورعاتك؛ لأننا أخوان، أليست كل الأرض أمامك؟ اعتزل عنى، إن ذهبت شمالا فأنا يمينا، وإن يمينا فأنا شمالا. فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأرض أن جميعها سقى قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة كجنة الرب، كأرض مصر حينما تجىء إلى صوغر، فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن، وارتحل لوط شرقا فاعتزل الواحد عن الآخر، أبرام سكن فى أرض كنعان، ولوط سكن فى مدن الدائرة، ونقل خيامه إلى سدوم. وكان أهل سدوم أشرارا وخطأة لدى الرب جدا».

وهكذا يكون لوط قد قدم إلى سدوم عقب عودته من مصر مع عمه إبراهيم ـ عليهما السلام ـ وبقى بها طيلة الفترة التى قضاها إبراهيم فى كنعان (الشام) يدعو إلى عبادة الله الواحد، حيث اقترحت عليه السيدة سارة أن يتزوج جاريتها المصرية هاجر، ففعل، وأنجبت له إسماعيل ـ عليه السلام ـ وكان ذلك بعد عشر سنين من مجىء إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى أرض كنعان قادما من حاران، طبقا لما ذكرته التوراة.

وطبقا لتقديرنا فإن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان فى الخامسة والأربعين من عمره تقريبا فى ذلك الوقت، أما السيدة هاجر فكانت فى الخامسة والثلاثين؛ لأنها كانت تصغره بعشر سنين كما ذكرت التوراة. ولابد أن لوطا كان أصغر من عمه إبراهيم، وبالتالى فإن سنه كانت تقل عنه بما لا يقل عن عشرة أعوام.

كذلك جاء فى التوراة أنه بعد ذلك بأعوام بشرت الملائكة سارة بأنها ستحمل وتلد، وكانت يومئذ فى التسعين من عمرها، أما إبراهيم ـ عليه السلام ـ فكان ابن مائة سنة لما أنجبا إسحق ـ عليه السلام ـ وهؤلاء الملائكة هم أنفسهم الذى كانوا فى طريقهم إلى قوم لوط ليدمروهم. فإذا افترضنا صحة هذا الذى ذكرته التوراة ، فإن ذلك يعنى أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أمضى فى كنعان بعد عودته إليها من مصر خمسة عشر عاما فقط. أما طبقا لتقديرنا فإنه يكون قد أمضى خمسة وخمسين عاما، وبالتالى فإن لوطا يكون قد أمضى مثلها فى سدوم التى انتقل للإقامة بها عقب عودته من مصر.

٢ ـ إنه جاء فى التوراة أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما ذهب إلى مصر طلب من زوجته سارة أن تقول إنها أخته وليست زوجته حتى لا يطمع فيها الملك لحسنها الشديد، فلما سمع الملك بحسنها رغب فى الزواج منها، ولكنه علم فى اللحظات الأخيرة أنها زوجة إبراهيم، فاستدعاه ولامه لإخفائه هذه الحقيقة عنه، مما كان سيجعله يرتكب خطأ فظيعا. ونسى الذين زوروا التوراة أنهم قالوا إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان له من العمر يومئذ خمسة وثمانون عاما، ولما أن كانت سارة تصغره بعشرة أعوام، فمعنى ذلك أنها كانت فى الخامسة والسبعين

من عمرها. فهل يتصور أحد أن امرأة فى هذا السن يمكن أن تكون هدفا للرجال يطمعون فى الزواج منها، مهما كانت درجة جمالها فى شبابها؟! فضلا عن ملك مصر الذى تحيط به الإناث من مختلف الأعمار، ويملك أن يتزوج فتيات صغيرات فى عمر الزهور، ونساء ناضجات تفضن بالحيوية وتتدفقن بالأنوثة! طبعا لا. أما الصحيح فهو أن السيدة سارة كانت جميلة، وأن ملك مصر رغب فى الزواج بها، ولكن غير الصحيح أنها كانت فى الخامسة والسبعين، بل فى الخامسة والعشرين، أو فى الخامسة والثلاثين، على أكثر تقدير؛ لأنه بدءا من هذه السن يأخذ جمال المرأة فى الذبول شيئا فشيئا، وتضمحل حيويتها، وتخبو أنوثتها، وتدخل فى ما يسمى مرحلة الكهولة فالشيخوخة. فإذا صح هذا فإن إبراهيم ـ عليه السلام ـ يكون قد بلغ الخامسة والأربعين وقت أن رحل إلى مصر هربا من المجاعة، ويكون لوط فى الخامسة والثلاثين تقريبا.

كذلك نرجح أن السيدة سارة لم تقترح على إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يتزوج من جاريتها المصرية هاجر إلا بعد أن أيقنت أنها لم تعد قادرة على الإنجاب، وذلك يكون بانقطاع الطمث الذى يحدث غالبا فى الخامسة والأربعين، فوافق إبراهيم وتزوج بهاجر التى حملت منه وأنجبت إسماعيل ـ عليهما السلام ـ ولما أن كانت السيدة سارة قد أنجبت إسحق بعد مولد إسماعيل بأربعة عشر عاما فمعنى ذلك أنها كانت فى حوالى الستين من عمرها، وليس التسعين كما زعم مزورو التوراة. فى حين كان إبراهيم فى السبعين من عمره وليس المائة. وهكذا يكون زواجه بهاجر قد تم بعد عودته من مصر ـ وهى بصحبته ـ بعشرة أعوام على الأقل.

أما لوط ـ عليه السلام ـ فإنه يكون قد بلغ الستين يوم أن جاء الملائكة إلى سدوم لتدميرها، وكانوا قد مروا على إبراهيم قبلها لتبشيره هو وسارة بأنهما سينجبان ولدا، أى أن لوطا قضى بين ظهرانى أهل سدوم مدة تتراوح بين ثلاثين عاما وخمسة وثلاثين عاما، ذهب فى بدايتها لمجرد الإقامة حسما للخلاف الذى كان قد نشب بين عبيده وعبيد إبراهيم، ومنعا لانتقاله إليهما، ثم بعثه الله بعد

ذلك لما تفشت الفحشاء فى القوم، والذى نرجح أنه كان بعد إقامته فى سدوم بحوالى عشرين سنة، وإن كانت ممارستها على نطاق ضيق قد بدأت قبل ذلك فى الخفاء، ولذلك لم يعلم بها لوط إلا بعد أن تفشت. يقول تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1].

ولا شك أن هذه المدة كانت لازمة للأسباب التى سبق أن ذكرناها والتى من بينها تعلم لوط للغة القوم؛ حتى يمكنه أن يتفاهم معهم أولا، ثم بعد ذلك لإبلاغهم رسالة ربه التى بعثه من أجلها، وهى نهيهم عن إتيان الفاحشة التى ما لبثت أن تفشت فيهم.

وكما نعلم فإن لوطا جاء مع عمه إبراهيم ـ عليهما السلام ـ من أور الكلدانيين فى أرض الرافدين فى العراق حيث يتكلم الناس لغة خاصة بهم، إلى كنعان التى لا شك فى أن أهلها كانوا يتكلمون بلغة مختلفة. فماذا كانت لغة إبراهيم ولوط؟ وهل كانت هى نفسها لغة كنعان أم كانت مختلفة عنها؟ وإلى أى درجة كان هذا الاختلاف؟

**ثانيا ـ لغة التخاطب بين لوط وأهل سدوم:**

لا شك أن لوطا قد تكلم إلى أهل سدوم بلغتهم، وذلك لما بعثه الله لينهاهم عن الفحشاء، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

ويقول القرطبى فى تفسير الآية: إن معناها «بلغة قومهم ليبينوا لهم أمر دينهم، ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة، فهى اسم جنس يقع على القليل والكثير. وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**أرسل كل نبى إلى أمته بلسانها، وأرسلنى الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه**». وقال أيضا: «**والذى**

(١) هود: ٧٨

(٢) إبراهيم: ٤.

**نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**. أخرجه مسلم[1]. ويقول محمد رشيد رضا[2]: إن العربية القديمة كانت هى لغة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكذلك لوط، كما كانت لغة حمورابى وقومه الذى قيل إنه كان معاصرا لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وكان هو الآخر عربيا اسمه ملكى صادق ملك البر والسلام، ووصف فى العهد العتيق بأنه كاهن الله العلى، وأنه بارك إبراهيم الذى أعطاه العشر من كل شىء[*]. وقال :إنه على ما كان فى اللغة العربية من الدخيل الكلدانى والمصرى القديم كانت قريبة جدا من العربية الجرهمية.

وهذا الذى قاله رشيد رضا عن وجود لغة عربية قديمة كانت هى لغة إبراهيم ولوط ـ عليهما السلام ـ صحيح إلى حد كبير؛ ذلك لأن الهجرات الأولى إلى بلاد الرافدين والتى حدثت إحداها حوالى عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد جاءت من الجزيرة العربية، الموطن الأصلى لمن عرفوا فى التاريخ باسم الساميين، وما هم فى الحقيقة إلا العرب. وعلى الرغم من أنه كان قد سبقهم إلى بلاد الرافدين أقوام ليسوا ساميين، لا شك أنهم كانت لهم لغاتهم فإن لغة الوافدين ما لبثت أن تغلبت على تلك اللغة وأصبحت الواسطة التى عبرت بها حضارة الفرات عن نفسها خلال أجيال عديدة.

وبعد الهجرة الأولى بنحو ألف سنة حصلت هجرة أخرى من الجزيرة العربية، ولكن هذه المرة إلى الشام، وجاءت بشعبين، الأول: الأموريون الذين

---

(١) المرجع السابق، ج ٩ ص ٣٤٠.

(٢) المرجع السابق، ج ٧ ص ٤٤٦.

* لم يتوفر دليل على أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ التقى مع حمورابى، أو ما يدل على أن ملكى صادق هو نفسه حمورابى، فقد ذكرت التوراة أن ملكى صادق كان ملكا لشاليم التى يذهب رأى إلى أنها القدس التى سميت أورشليم. وذهب رأى آخر إلى أنها قد تكون قرية سالم التى تقوم اليوم شرقى نابلس لجهة الغور. أما حمورابى فكان ملكا لبابل، عاش ما بين ٢١٢٣ و ٢٠٨١ قبل الميلاد، بينما الثابت حتى الآن أن إبراهيم عاش فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد. راجع ول ديورانت (قصة الحضارة) الجزء الثانى، المجلد الأول ص ١٨٨. وكذلك محمد عزة دروزة، المرجع السابق ص ١٥٠.

استقروا فى سهول سورية الشمالية. والثانى الكنعانيون الذى احتلوا ـ فيما بعد ـ السهل الساحلى. وهكذا يكون البابليون والأموريون والكنعانيون يشتركون فى لغة واحدة هى العربية القديمة. ولكن بالنظر إلى أنهم جاءوا إلى بلاد لم تكن خالية من السكان، بل كانت قد سبقتهم إليها واستقرت فيها شعوب أخرى كان لها لغاتها الخاصة، فلا شك فى أن هذه اللغات قد أثرت بأشكال مختلفة ودرجات متفاوتة فى لغة الوافدين الجدد، فظهر ما يعرف بمجموعات اللغات السامية التى تضم اللغة الآشورية البابلية (الآكادية) والكنعانية (الفينيقية) والآرامية والعبرية والعربية والحبشية[1]. وكلها ترجع إلى أصل واحد هو ما يسمى بالعربية القديمة التى تعد اللغة العربية الحالية أقرب لغات المجموعة السامية إليها.

وهكذا فإن الكنعانيين وإن كانوا قد جاءوا من نفس الموطن الذى سبق أن جاء منه البابليون، وبالتالى فإنهم كانوا يتكلمون نفس اللغة، فإن مضى ألف سنة على هجرة العرب إلى أرض الرافدين كان قد أحدث تغييرا ملموسا فى لغتهم، وبالذات نتيجة لاحتكاكها بلغة الشعب الذى كان قد سبقهم إلى سكنى هذا الإقليم. أما الكنعانيون فإنهم قد جاءوا لتوهم من الجزيرة العربية، فإن لغتهم كانت صحيحة لم تشبها شائبة بعد. فإذا كانوا ـ أى الكنعانيون ـ قد احتكوا ـ فى موطنهم الجديد ـ بأقوام كانوا قد سبقوهم إليه، فمعنى ذلك أن لغتهم هم أيضا قد تأثرت بلغة هؤلاء، وبالتالى ابتعدت عن العربية ـ لغتهم الأصلية ـ بقدر ابتعادها عند البابليين.

ولمحمد عزة دروزة رأى آخر، وهو أن بعض القبائل البابلية كانت قد هاجرت إلى الشام حوالى مطلع الألف الثانى قبل الميلاد، غير أن أسلافهم كانوا غالبا يحتلون الأقسام الساحلية الجنوبية من بلاد الشام قبل ذلك بألف سنة أو أكثر، ثم

(١) فيليب حتى، المرجع السابق، ص ٦٦.

طرأ عليهم الكنعانيون، ولكن اللغة البابلية ظلت اللغة السائدة؛ لأن الكنعانيين ليسوا إلا فرعا من البابليين، ومما استدل به على ذلك رسائل تل العمارنة التى كانت ترسل من أمراء وحكام سورية باللغة البابلية والخط المسمارى، والتى ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد[1]. ولكن، حتى لو أن ذلك كان صحيحا فإن انقضاء نحو ألف سنة بين مجيء البابليين إلى الشام ومجيء الكنعانيين بعد ذلك لا يمكن أن يحدث دون أن يترتب عليه تأثيرات هامة فى لغة البابليين، لا شك فى أن الكنعانيين قد لمسوها بعد أن استقروا بين ظهرانى هؤلاء. وهو نفس ما حدث لما جاءت موجة الهجرة البابلية الجديدة التى كان من ضمنها إبراهيم ولوط ـ عليهما السلام ـ واستقرت فى البلاد التى أصبحت تعرف بكنعان، فإن لوطا لما استقر فى سدوم وجد بعض الصعوبة فى تبادل الكلام مع سكانها، وهى صعوبة كان الوقت كفيلا بتذليلها.

ويقول فيليب حتى[2]: إن من أهم نواحى التشابه ضمن ما يسمى بمجموعة اللغات السامية هى: وجود فعل ثلاثى كمصدر أساسى، ووجود زمنين للفعل هما الماضى والمضارع، وتصريف الفعل يتبع نفس الأسلوب. وفى جميع لغات المجموعة السامية نجد تشابها بين الكلمات الأساسية كالضمائر الشخصية، والأسماء التى تدل على القرابة والأعداد وأعضاء الجسم الرئيسية.

وبطبيعة الحال فإن هناك فرقًا بين أن يكون الراغب فى تعلم لغة قوم يعيش بينهم شخصا عاديا وبين أن يكون نبيا، أو بسبيله إلى أن يكون نبيا، فتعلم اللغة ـ فى هذه الحالة ـ يحتاج إلى التؤدة والتعمق حتى يمكنه أن يقوم برسالته على خير وجه. وهذا هو ما جعلنا نستنتج أن إقامة لوط بين ظهرانى أهل سدوم قد دامت مدة طويلة، وأن ندلل على صواب هذا الاستنتاج بأكثر من دليل.

وهناك دليل آخر ـ على أن لوطا كان غريبا عن أهل سدوم ـ نستمده هذه المرة من التوراة ذاتها. ذلك أنه لما حاول بعض سكان سدوم الوصول إلى الملكين

(١) محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص ٣٩.
(٢) المرجع السابق، ص ٦٦.

اللذين بعث بهما الله ليدمرا سدوم، وتوسل إليهم لوط أن يتركاهما لأنهما ضيفاه، قالوا: جاء هذا الإنسان ليتغرب وهو يحكم حكما.[1] والمعنى أنه غريب عنهم جاء ليقيم فى مدينتهم، فإذا به يريد أن يتحكم فيهم فيأمرهم أو ينهاهم.

من كل ما تقدم يتبين لنا أن لوطا ـ عليه السلام ـ الذى كان إما أصغر من إبراهيم، أو فى مثل سنه، أمضى بين ظهرانى سكان سدوم ثلاثة عقود أو أكثر قليلا، وأن هؤلاء السكان كانوا مزيجا من الكنعانيين الذين ترجع أصولهم إلى الجزيرة العربية والذين كانت لغتهم الكنعانية مزيجا من العربية القديمة ولغة القوم الذين سبقوا الكنعانيين إلى الهجرة إلى الشام والذين جاءوا من بلاد ما بين النهرين فى العراق، مما كان يتطلب أن يقيم لوط بين ظهرانيهم ردحا من الزمن؛ لكى يجيد لغتهم، قبل أن يبعثه الله إليهم.

ولما حط لوط رحاله فى السديم ـ وهو اسم المنطقة التى تقع بها المدن الخمس ـ اختار أن يقيم فى سدوم نفسها حيث ما لبث أن تزوج إحدى بناتها وأنجب منها عددا غير محدد من الإناث، زوج بعضهن من شباب من أبناء سدوم الذين ينتمون إلى أسرها الكبيرة. وكانت غنمه الكثيرة وإبله ترعى خارج سدوم فى مراعيها الخصبة، فتدر عليه دخلا كبيرا، فضلا عن ثروته الأخرى الضخمة والتى تتكون من الذهب والفضة والعبيد والإماء، مما كان يضعه على رأس قائمة الأثرياء فى سدوم.

ومن ذلك يتبين أنه حتى الوقت الذى بدأت فيه إقامة لوط فى سدوم لم يكن هناك ما يدل على أن سكانها يمارسون الشذوذ الجنسى فى صورتى اللواط والسحاق، أو على الأقل لم تكن هذه الفاحشة شائعة بينهم متفشية فيهم، وإلا فكيف رضى لوط أن يتزوج بامرأة منهم ثم بعد ذلك يزوج بناته من بعض شبابهم وهو يعلم أن عروسه تمارس السحاق؟ وأن بناته سيمارسنه بعد زواجهن من رجال لا يأتون النساء وإنما يأتون الرجال؟!. غير أن هذه الفاحشة كانت لا

---

(١) تكوين، الإصحاح ١٩.

تزال محدودة يمارسها عدد قليل من الناس وفى سرية تامة، شأن أى سلوك معيب يخجل منه صاحبه، فيحرص على إخفائه عن الآخرين. كان هؤلاء ـ فى الغالب ـ من علية القوم والمترفين وأولى الأمر فى المجتمع؛ لأن العامة لايستطيعون أن يفعلوا ذلك حتى لا يقعوا تحت طائلة القانون الذى يمسك المترفون بزمامه. ولكن بمضى الوقت، دون أن يجد الشواذ من يتصدى لهم ويضرب على أيديهم، أخذ عددهم يزيد بانضمام آخرين إليهم، إلى أن جاء الوقت الذى لم يعد فيه أحد من سكان سدوم لا يمارس اللواط. وانتبه لوط على هذه الحقيقة المؤلمة، فلم يدر كيف يتصرف معهم، فهو لاسلطان له عليهم، بل هو مجرد رجل حل بينهم منذ وقت بعيد، وارتبط ببعضهم برابطة المصاهرة التى لا تكفى لحمايته منهم إن هو اعترض على ما يأتونه من فاحشة أمست مستشرية فيهم متمكنة منهم. وعندئذ بعثه الله تعالى إليهم لكى يبصرهم بما فى عملهم من سوء وشر، وليدعوهم إلى تركه، وينذرهم بالعقاب الشديد، لعلهم يعودون إلى صوابهم، ويثوبون إلى رشدهم. ويكشف لنا قول لوط لهم : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]. لا عن دهشته وحسب، بل واشمئزازه الشديد. ولكن كيف حدث ذلك؟

## العوامل التى لعبت دورا فى إتيان قوم لوط للفاحشة:

كثيرة هى العوامل التى تفاعلت فأدت إلى سقوط قوم لوط بأكملهم فى هوة الانحطاط الأخلاقى المتمثل فى إتيان الفاحشة على هذه الصورة غير المسبوقة. وربما كان التعرف على دور هذه العوامل صعبا فى الماضى، أما الآن فلم يعد كذلك بعد أن انبعثت من جديد الظروف التى تماثل ظروف مجتمع سدوم، والتى مهدت لظهور الفاحشة فيه، ثم تفشيها كما لو كانت وباء، أو ما هو أخطر من الوباء؛ لأنه كثيرا ما نجا بعض الناس من الوباء، كما حدث فى كل مرة ظهر فيها وباء من الأوبئة. فالطاعون ـ مثلا ـ كان يظهر بين الحين والحين فيقضى على ملايين البشر، ولكنه كان يترك آخرين دون أن يصيبهم. أما الفاحشة التى ظهرت

(١) سورة الأعراف، من الآية: ٨٠

فى قوم لوط فإنها لم تترك منهم أحدا فيما عداه هو وابنتيه. وهنا يكمن الفرق بين المرض الوبائى والمرض الأخلاقى، خاصة ما يتعلق منه بالجنس، فالمرض الوبائى كالطاعون يقضى على حياة من يصاب به بعد فترة قصيرة من الألم المبرح والعذاب الشديد تكون مصحوبة ـ فى الغالب ـ بابتعاد الناس عن المريض خشية انتقال العدوى إليهم، أما الوباء الأخلاقى كالشذوذ الجنسى والزنا فإنه لا يسبب آلاما ولا يصاحبه عذاب، بل على العكس يسبب للمصاب به إحساسا بالمتعة، وشعورا باللذة، فيستعذبه ويقبل عليه غير منتبه إلى عواقبه الوخيمة، وعلى خلاف الطاعون، فإن من يشاهد المصاب بالوباء الأخلاقى أو ينصت إلى حديثه لا ينفر منه ويتجنبه خشية أن تنتقل إليه العدوى، بل يستهويه ما يراه أو يسمعه فتميل نفسه إليه بدافع من الإثارة التى يحدثها فيه، والتى إن لم تواجه بمانع قوى يحد منها فإنها تنطلق بقوة لتجتاح كل ما قد يعترضها من عقبات، ونعنى بالمانع القوى الدين الذى يعد وازعا لا يستهان به فى مثل هذه الأحوال. وفيما يتعلق بالعوامل التى أدت إلى وقوع قوم لوط فى الفاحشة فإنها على نوعين: اقتصادى، واجتماعى، ونتناولهما فيما يلى:

**أولا ـ العامل الاقتصادى:**

يعد هذا العامل من أهم العوامل التى تلعب دورا فى الانحراف والشذوذ، وبطبيعة الحال فإنه يقوم بدوره بالتفاعل مع غيره من العوامل، وليس على انفراد. فالمال الكثير مع الدعة والميل إلى الترف مع عدم الرغبة فى بذل الجهد، وعدم وجود أهداف جادة يسعى إليها المرء، وسيطرة المادة وتغليبها على المعنى بما يؤدى إليه ذلك من عزوف عن القيم، وعدم احترام المعايير الأخلاقية، والتمرد على الضوابط، والخروج على الأعراف. فضلا عن شيوع الأنانية وتفشى الفردية. كل ذلك من شأنه أن يشجع الشخص على الانحراف.

ولقد كانت سدوم والمدن الأربع الأخرى تقع فى سهل خصب تحيط بها المراعى والمزارع، وتروج فيها التجارة، فيحصل سكانها على دخول تكفيهم

وتزيد. وقد قال الله فى وصف مثل هذه المدن: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾(١).

ولكن الله لم يُذِقْ سدوم لباس الجوع والخوف فحسب، بل دمرها تدميرا.

وبدلا من أن يشكروا الله على نعمائه، ويوجهوا أموالهم إلى ما ينفعهم وينفع غيرهم وجهوها إلى ما يضرهم، فأمعنوا فى الترف، وعبوا من المتع عبا، وفى مقدمتها الجنس الذى كان فى أول الأمر سويا ينحصر فى الزواج بأى عدد من النساء، واتخاذ المحظيات والسرارى، واقتناء الإماء والجوارى، يمارسون الجنس معهن فى إسراف شديد جعلهم يصابون بالملل، فأخذوا يبحثون عن الجديد الذى يبدد مللهم، ولكن هذا الجديد ما لبث أن فقد تأثيره، فعافوا النساء واتجهوا إلى الغلمان من الخدم والعبيد الذين كانت تمتلىء بهم القصور، أو يعملون فى الحانات والحمامات العامة. فلما تمكنت منهم العادة وأصبحوا أسرى الفكرة المتسلطة عليهم تزين لهم الفاحشة وما فيها من متعة تحولوا إلى الكبار، ومارسوها فيما بينهم، فكان منهم الفاعل والمفعول به، أو كما يوصفون علميا: الإيجابى والسلبى، كما يوجد من يجمع بين الدورين معا، الفاعل والمفعول به. وهو ما نلاحظه إلى اليوم على من يمارسون هذه الفاحشة. وبخاصة فى السجون التى زرناها وعرفنا من أمر نزلائها الكثير مما يتعلق بهذا الداء الوبيل.

وفى أول الأمر كانت هذه الفاحشة قاصرة على الطبقة المترفة، طبقة الأثرياء والحكام وأعوانهم، يمارسونها فى أنديتهم وفى قصورهم؛ خجلا من العامة. وهذا ما يحدث عادة فى كل مرة ظهرت فيها رذيلة، أو حدث فيها انحراف عن النواميس، وشذوذ عن الفطرة. ولدى الصينيين مثل شائع يعبر عن هذه الحقيقة بدقة ، وهو المثل الذى يقول: **السمكة تفسد من رأسها**. وعلية القوم أو من

(١) النحل: ١١٢.

يسمون بالصفوة، والمترفون هم رأس المجتمع التى تفسد أولا ثم يتبعها الجسم. كذلك يقولون: «**السلم يمسح من أعلاه**» بمعنى أننا لو أردنا أن ننظف المجتمع ونطهره مما أصابه من قاذورات فإننا نبدأ بأعلاه حتى يجرف الماء فى اندفاعه إلى أسفل كل ما تراكم من قاذورات ليلقى بها فى البالوعة، أما إذا غسلناه من أسفل فإننا كلما تقدمنا صعودا عليه تسرب الماء القذر منحدرا إلى أسفل، فيلوث ماسبق أن غسلناه من درجات السلم.

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾(١).

يقول ابن كثير: إن القراء اختلفوا فى قراءة قوله: «أمرنا» فالمشهور قراءة التخفيف. واختلف المفسرون فى معناها، فقيل: معناه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرا قدريا، كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾(٢).

فإن الله لا يأمر بالفحشاء، قالوا: معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش، فاستحقوا العقاب. وقيل: معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش، فاستحقوا العقوبة. رواه ابن جرير عن ابن عباس، وقاله سعيد بن جبير أيضا. وقال ابن جرير: «وقد يحتمل أن يكون معناه: جعلناهم أمراء».

ويقول ابن كثير: إن ذلك يكون إذا كانت القراءة ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾.

يقول ابن عباس: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب، وهو قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾(٣).

ولمن قرأها بالمد (**آمرنا**) فإن معناها: أكثرنا عددهم(٤).

ويقول سيد قطب: «والمترفون فى كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة، فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع فى الفسق والمجانة، وتستهتر

(١) الإسراء: ١٦
(٢) يونس، من الآية: ٢٤
(٣) الأنعام: ١٢٣
(٤) المرجع السابق، ج ٥ ص ٥٨

بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ فى الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا فى الأرض فسادا ونشروا الفاحشة فى الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التى لا تعيش الشعوب إلا بها ولها، ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخى، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها، وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها»[1].

ويفسر قوله تعالى: ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ بأن معناه: «أن الله إذا قدر لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثر فيها المترفون، فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعم فيها الفسق، فتحللت وترهلت، فحقت عليها سنة الله، وأصابها الدمار والهلاك. وهى المسئولة عما يحل بها؛ لأنها لم تضرب على أيدى المترفين، ولم تصلح من نظامها الذى يسمح بوجود المترفين. فوجود المترفين ذاته هو السبب الذى من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا». ويستطرد قائلا: «إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف، وسننا لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته. والله لا يأمر بالفسق؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء. لكن وجود المترفين فى ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت فى طريق الانحلال، وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا. وهى التى تعرضت لسنة الله بسماحها للمترفين بالوجود والحياة. فالإرادة هنا ليست إرادة للتوجيه القهرى الذى ينشىء السبب، ولكنها ترتب النتيجة على السبب. الأمر الذى لا مفر منه؛ لأن السنة جرت به. والأمر ليس أمرا توجيهيا إلى الفسق، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود المترفين، وهى الفسق»[2].

وهذا الذى قاله سيد قطب صحيح بلا شك، ولكن السبيل إلى وضعه موضع التنفيذ صعب، إن لم يكن متعذرا؛ وذلك لأن الطبقة المترفة لا تملك المال وحسب بل والسلطة والنفوذ، وتسيطر على أدوات القهر، وتستخدمها لحماية

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢١٧.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٢١٨.

نفسها ومصالحها وفرض معتقداتها. هذا فضلا عن تحكمها فى وسائل الإعلام من إذاعة مسموعة ومرئية وصحف ومجلات، وهيمنتها على وسائل الثقافة من مسرح وسينما ومؤتمرات وبحوث وغيرها، مما يمكنها من الترويج للفاحشة بإثارة الشهوات وإلهاب الحواس، فضلا عن وضع العراقيل أمام الإشباع المشروع للحاجة الجنسية لدى الشباب، أو اتخاذ موقف سلبى إزاء ما يعانون منه من مشكلات تحول دون تحقيق الإشباع المشروع. فإذا أضفنا إلى ذلك ضعف الوازع الدينى وتفشى الأمية بنوعيها ـ الأمية الأبجدية، والأمية الثقافية ـ لتبين لنا مدى تعذر تحقيق ما دعا إليه سيد قطب، وفى الوقت نفسه سهولة الاستجابة من جانب العامة لما يغريهم به الخاصة، ومن ثم استعدادهم لمحاكاتهم فيما يفعلونه.

وهكذا كان حال أهل سدوم وعمورة مع رؤسائهم المترفين لما علموا بما يفعلونه من إتيان الذكور، فلم يلبثوا أن حاكوهم فى ذلك. وإذا كان الزواج بالنساء يعد مكلفا فإن اقتناء المحظيات والجوارى كان أكثر تكلفة نظرا لارتفاع أسعارهن؛ ولذلك كان الفقراء لا يقدمون على الزواج إلا مرة واحدة فقط، فلما انتشر اللواط تبين لهم أنه لا يحتاج إلى مال ، فكان أسهل على العامة وأيسر، والناس على دين ملوكهم! فلما علم الحكام والأثرياء بما يفعله العامة لم يعودوا يجدون فى أنفسهم حرجا مما يفعلون، فجاهروا بعمل الفاحشة لا يتخفون فى بيوتهم ومنتدياتهم بل يمارسونها جهارا نهارا، عيانا بيانا، بعد أن يشربوا الخمر، فيأخذون فى الرقص والصياح وهم يتجردون من ثيابهم، ثم يقبلون بعضهم على بعض كما لو كانوا قد أصيبوا بالجنون. ولقد كان من نتيجة ذلك الإسراف فى الفاحشة وما يصاحبها من تناول الطعام الفاخر والشراب الغالى أن تبددت الثروة من أيدى كبار القوم، فلجأوا إلى قطع الطريق على القوافل التى كانت تمر بالقرب منهم فيستولون على ما كانت تحمله من سلع وبضائع، وينهبون المسافرين دون رحمة أو شفقة، وينتزعون الأطفال تاركين الأمهات؛ لأنه لا مأرب لهم فيهن، ويعتدون على الرجال.

## ثانيا العامل الاجتماعى:

وهذا العامل يتكون ـ فى الحقيقة ـ من مجموعة من العوامل التى لها علاقة بالمجتمع، مثل الدين، والثقافة، والنظام السياسى، والتعليم، والتنشئة الاجتماعية، وغيرها، وسنبين دورها فيما يلى:

### أ ـ الدين:

فيما يتعلق بالدين فإن قوم لوط كانوا مشركين يعبدون الأوثان، وكان لوط يحاول هدايتهم إلى الدين الحق ولكن بلا جدوى، فقد ظلوا يراوغونه ردحا من الزمن، وهو متمسك بأهداب الصبر يرجو من الله أن يهديهم، إلى أن فوجىء بما يرتكبونه من فاحشة. والشرك فى حد ذاته لا يؤدى إلى الفاحشة وإنما يحتاج لكى يحقق ذلك إلى أمرين، **الأول**: أن يكون هو ذاته لايحرم مثل هذه الأفعال، بل يشجع عليها، وقد يعتبرها عنصرا من طقوسه كما كان الحال فى الديانات الغربية القديمة التى كانت تعتبر البغاء نوعا من العبادة يثاب من يمارسها، وكانوا يطلقون عليه اسم البغاء المقدس.[1] والأمر **الثانى**: أن تكون الأخلاق السائدة فى المجتمع لا تحرم مثل هذا الشذوذ، ولا تعاقب مرتكبه، بل قد تشجع عليه وتعتبره جزءا من الأخلاق الاجتماعية، وهى نظرة الإغريق إلى العلاقات الجنسية التى كانت تقوم بين الغلمان وبين من كانوا يدربونهم على المصارعة وفنون الحرب؛ إذ كانوا يعتبرون ذلك عاملا هاما يساعد الغلام على سرعة التعلم، وإتقان ما يتعلمه بسبب حبه لأستاذه وحرصه على إرضائه، كما كانوا يعتبرون ذلك أقل ما يمكن للتعبير عن العرفان بالجميل والولاء للمدرب![2] ولقد كانت ديانة الكنعانيين ـ ومنهم سكان سدوم ـ هى ديانة الخصب، وهى ديانة تشتمل على طقوس جنسية منها تضحية النساء بشرفهن وتقديمهن أنفسهن للمترددين على المعابد فيما يسمى البغاء المقدس،[3] وهو ما أخذه عنهم العبرانيون من ضمن ما أخذوا به من أسباب الحضارة الكنعانية المادية.

(١) أحمد المجدوب (العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية)

(٢) Ronald M. Holmes. Sex Crlmes op. clt, p. 11

(٣) فيليب حتى، المرجع السابق ج ١ ص ١٢٦

ولقد كان العرب مشركين يعبدون الأوثان، ومع ذلك فإنه لا عقيدتهم الوثنية ولا أخلاقهم الوضعية كانت تبيح الشذوذ الجنسى، سواء بين الذكور وبعضهم، أو بين الإناث وبعضهن. وكذلك كثير من الشعوب الأخرى كالمصريين القدماء مثلا، وذلك بخلاف الرومان الذين كانوا يتساهلون فى هذا الشأن فلا يعاقبون من يرتكب هذه الفاحشة.

وهكذا فإنه لو كان هؤلاء القوم قد آمنوا بما كان لوط يدعوهم إليه من عبادة الله الواحد، وطاعته فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه لكان فى ذلك وازع لهم وزاجر عن ارتكاب هذه الفاحشة وغيرها. ولكنهم أبوا أن يعتنقوا الحنيفية التى بعث بها إبراهيم عليه السلام.

**ب ـ التنشئة الاجتماعية:**

وبالنسبة لدور التنشئة الاجتماعية فى ممارسة قوم لوط للفاحشة، فإن الدور يتمثل فيما يقوم به الأبوان من تعليم أبنائهم العادات والتقاليد والأعراف والأخلاق السائدة فى المجتمع، وتدريبهم على السلوك بما يتفق مع كل ذلك. ويتمثل أيضا فيما يقوم به هؤلاء الأبناء من ملاحظة ما يدور فى البيت من أمور، سواء أكانت أفعالا أم أقوالا، ومحاكاتها. ولا شك أنه كانت لقوم لوط أخلاق وعادات سيئة من شأنها أن تشجع على الانحراف، قد يكون من بينها انعدام الحياء لديهم فى القول والفعل، وإهمال الخصوصية، كأن يظهر الأبوان عاريين أمام أبنائهم أو أن لايباليا إذا رأوهما فى أوضاع مخلة، وكذلك عدم الفصل بين الأبناء فى المضاجع، وبخاصة عند بلوغهم العاشرة، وتخليهم عن مسئولية متابعة هؤلاء الأبناء فى علاقاتهم بالآخرين، خارج البيت، وبخاصة بمن يكبرونهم فى السن. كل ذلك قبل أن تظهر الفاحشة فيهم.

أما بعد أن ظهرت فإن دور التنشئة تغير، فبعد أن كان يقتصر على تمهيد سبل الانحراف أمام الأبناء أصبح يوعز إليهم ويشجعهم على ممارسة الفاحشة، سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر. فماذا ننتظر من طفل يرى أباه وهو يرتكب

الفاحشة، ثم بعد ذلك أمه، ثم كل من حوله من أقارب وجيران؟! بطبيعة الحال فإنه سيشب عن الطوق وقد استقر فى وجدانه وفى عقله أن هذا شىء عادى، بل إنه سيكون أكثر فحشا من أبويه، وأشد انحلالا وانحطاطا منهما. ولا يظن أحد أن الإنسان الذى يرتكب الفاحشة يمكن أن يكون صالحا أو فاضلا فى غيرها، فهذا خطأ فاحش يحاول الغرب أن يوقعنا فيه، ونسمعه من بعض السذج الذين يشيدون بالشواذ الغربيين قائلين إن تمسكهم بالصدق يمنعهم من أن ينكروا أنهم شواذ، بل يعترفون بذلك فى شجاعة وثقة غير عابئين بنظرة الآخرين إليهم!. والأشد فحشا من هذا الخطأ المقصود ما يزعمه بعض أنصار الشذوذ الجنسى من أن الشخص الشاذ يتألق فكره، ويتوهج إبداعه، وتنشط لديه القدرة على الخلق والابتكار عندما يتخلص من الإحباط الناشىء عن الحرمان من الممارسة الجنسية الشاذة.

ويضربون المثل ببعض الفنانين الذين يزعمون أنهم كبار، مثل الموسيقى تشايكوفسكى وغيره الذين ألفوا أفضل مقطوعاتهم الموسيقية عقب إشباعهم لشهوتهم الشاذة مع أفراد إيجابيين، أى فاعلين!. ويصف بعض العلماء الأمريكيين الأشخاص الشواذ بقولهم: إنهم يكونون على درجة ملحوظة من رقة المشاعر، وحساسية الطباع ، ولكن المجتمع لا يقدر لهم ذلك، ويصر على تعذيبهم بمعاملته غير المنصفة غير منتبه إلى أنهم ليس لهم ذنب فيما أصابهم.[1] وتقول سارة دولامونت[2]: إن المثلية الجنسية ليست شذوذا كما يرى البعض، فهى موجودة لدى كثير من الحيوانات، كما كانت شائعة فى الحضارات القديمة!

وسلوك قوم لوط ـ كما بينه لنا القرآن الكريم ـ يكشف عن حقيقة هامة، وهى أن استشراء الفاحشة فيهم استغرق وقتا ليس بالقصير ـ على نحو ما بينا ـ بحيث شمل ثلاثة أجيال على الأقل. الجيل الأول بدأت فيه الفاحشة على استحياء، وبين عدد قليل من الناس، ثم ازدادت فى الجيل الثانى وبدأت فى الظهور، وفى الجيل الثالث أخذت شكلها الصارخ الذى وصفه القرآن. ويزيد محمد رشيد رضا الأمر وضوحا فى قوله[3]: «وللنقص والرذائل دركات، كما أن

(1) Barnes & Teeters, New horizons in Criminology, third edition, p. 97

(2) SARA DELAMONT, Sex Roles and THE SCHOOL. p.8

(٣) المرجع السابق، ج ٨ ص ٤٥٨

للكمال والفضائل درجات، فأولاها أن يلم بالرذيلة وهو يشعر بقبحها، ويلوم نفسه عليها، ثم يتوب إلى ربه منها، ويليها أن يعود إليها المرة بعد المرة مستترا مستخفيا، ويليها أن يصر عليها حتى يزول شعوره بقبحها، ويليها أن يجهر بها ويكون قدوة سيئة للمستعدين لها، ويليها أن يفاخر بها أهلها، ويحتقر من يتنزهون عنها، وهذه أسفل الدركات، وهى درجة قوم لوط، ولا يهبط إليها ولا يسف من يؤمن بالله واليوم الآخر، بل وصف الله المؤمنين بأنهم إذا عملوا السيئات يعملونها بجهالة ثم يتوبون من قريب ، وأنهم لا يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون»

ولما أن كانت الأسرة ـ فى ذلك الوقت ـ تستقل بعملية التنشئة الاجتماعية، لا يشاركها فيها أى مؤسسة أخرى، وذلك بخلاف الحال الآن، حيث نجد الإعلام من تليفزيون وإذاعة، والمدرسة والمسجد بل والنادى تشارك الأسرة فى تنشئة الطفل، فإن ذلك ضمن لها عدم تدخل عوامل أخرى بالتأثير سلبيا فيما تنقله إلى أطفالها من أفكار وآراء، وما تضعه فى نطاق ملاحظتهم من أشكال السلوك الشاذ والعلاقات المنحرفة. وهو عكس ما يحدث الآن حيث نجد أن الإفساد يأتى من الإعلام المرئى والمسموع ومن المدرسة والنادى فضلا عن الشارع والجيرة.

وهكذا يكون الجيل الثالث من قوم لوط هو الذى نشأ فى بيئة تعلى من شأن الفاحشة، وتحط من شأن الفضيلة، وتنظر إلى المتطهرين على أنهم هم الشواذ الذين يجب التخلص منهم حتى لا يسيئوا إلى المجتمع. لا فرق فى ذلك بين الذكور والإناث، فقد ألف النوعان الفاحشة، فاكتفى الذكور بالذكور، واكتفت الإناث والإناث، وكأن هذا هو الوضع الطبيعى. وبالتالى لم تعد التنشئة تلعب دورا لسبب بسيط هو انقطاع النسل؛ لعدم إتيان الأزواج لزوجاتهم، بل ونرجح أن يكون نظام الزواج قد اختفى أو كاد، إذا أخذنا فى حسابنا الزيجات القديمة التى كانت لا تزال قائمة فى الظاهر؛ لذلك فإنهم لما قال لهم لوط: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾[1].

(١) هود: ٧٨

قالوا له: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾[1].

فهم ـ أو بعضهم ـ كانوا قد حلوا محل النساء فى العلاقة الجنسية، واعتادوا أن يؤتوا كما تؤتى النساء، والبعض الآخر كانوا قد رغبوا عن النساء تماما بعد أن تمكنت منهم الفاحشة، وأمسوا يمارسونها بشهوة، ويجدون فيها إشباعا ولذة لايجدون مثلها فى النساء. وهذا يعنى أن فطرتهم بلغت من الفساد حدا أصبح من المتعذر معه ـ إن لم يكن من المستحيل ـ برؤهم منه، وبالتالى لم يعد هناك من حل إلا باستئصال شأفتهم. وربما يكون هذا هو السبب فى عدم استجابة الله تعالى لرجاء إبراهيم ـ عليه السلام أن يعفو عنهم.

## العلاقة بين الشذوذ الجنسى وقلة النسل:

أثبتت الدراسات والبحوث التى أجريت فى كثير من الدول وجود علاقة مباشرة بين الشذوذ الجنسى فى صوره المختلفة ـ وكذلك الانحرافات الجنسية ـ وبين انخفاض معدل النسل. وهذا أمر طبيعى ليس فى ذلك شك؛ لأن الرجال إذا امتنعوا عن إتيان النساء ومارسوا الفاحشة فيما بينهم فلن تحمل النساء ولن تلدن. كذلك إذا تفشى السحاق فى النساء وعزفن عن الزواج ومعاشرة الرجال فإنهن لن يحملن ولن يلدن. وهى نفس النتيجة التى تنشأ عن الزنا؛ لأن الزناة يحرصون على عدم الإنجاب حتى لايفتضح أمرهم، أو لعدم رغبتهم فى وجود أبناء حتى لايجبرهم ذلك على الإبقاء على العلاقة الجنسية بما يحولها ـ فى الواقع ـ إلى زواج يحول بينهم وبين الدخول فى علاقات جديدة مع أطراف آخرين كما هو الحال فى المجتمعات الغربية التى يتفشى فيها الزنا، وتحرص النساء على رشاقتهن وجمالهن حتى يجذبن الرجال إليهن. فكانت النتيجة انخفاضا مستمرا فى معدل النسل أدى إلى ارتفاع متوسط الأعمار، فزادت نسبة كبار السن، وانخفضت بالمقابل نسبة صغار السن، سواء من الأطفال أو الشباب القادرين على العمل، الأمر الذى جعل معظم الدول الغربية تعتمد على الأيدى الأجنبية اعتمادا متزايدا.

---

(١) هود: ٧٩

وتأكيدا لما ذكرناه من أن تفشى الفاحشة فى قوم لوط أدى إلى انقطاع نسلهم بعد ثلاثة أجيال أو أربعة على الأكثر: نشير إلى ذلك الخبر الذى تلقته صحيفة الأهرام من مكتبها فى أثينا ونشرته فى عددها الصادر فى ١٠ مايو ١٩٧٩ والذى جاء به أن هناك توقعات بتناقص تعداد سكان اليونان بمقدار ثلاثة ملايين نسمة فقط. وكان تعداد السكان فى هذه الدولة ١٤,٨ مليون فى عام ١٩٨٠ انخفض إلى ١٠,٢ مليون سنة ١٩٩٠ أى بنسبة ٣٠٪. والمعروف أن الزنا واللواط متفشيان فى اليونان شأنها شأن الدول الغربية التى ترفع شعار الحرية الجنسية للجميع. ولا ننسى فى هذا الصدد ما تبين من وجود علاقة إيجابية قوية بين اللواط ومرض فقد المناعة (إيدز).

## (ج) الثقافة:

والمقصود بالثقافة: مجموع العادات والتقاليد والأعراف، وأشكال السلوك، وأساليب التعامل، وضروب العلاقات، والأفكار والآراء، وغيرها مما تزخر به حياة الجماعة. ولقد تطرقنا إلى بعضها فى حديثنا عن الدين والتنشئة الاجتماعية، ونضيف إليها هاهنا العادات الخاصة بالثياب، كأن تكون فاضحة تكشف عما لايجب الكشف عنه من جسم المرأة، وكذلك من جسم الرجل، والاختلاط بين الجنسين الذى لا يخضع لضوابط واضحة، أو الفصل التام بينهما وفرض العزلة على النساء، وهو الذى يحدث نفس الأثر الذى يحدثه الاختلاط غير المنضبط.

ومن العادات السيئة التى تساعد على الفحشاء تعاطى الخمر والمخدرات؛ لأن هذه وتلك تفقد الإنسان سيطرته على نفسه، فيقدم على تصرفات طائشة أو غير سوية. ولقد كشفت البحوث التى أجريت فى كثير من الدول الغربية أن جرائم الاغتصاب[1] والزنا بالمحارم وضرب الأزواج لبعضهم، وغيرها، تزيد بنسبة ملحوظة فى أيام العطلات والإجازات، حيث اعتاد الناس شرب الخمر وتعاطى المخدرات. وهو ما تبين أن قوم لوط كانوا يفعلونه قبل وأثناء ممارستهم للفاحشة،

(١) أحمد المجدوب (ظاهرة اغتصاب الإناث فى المجتمعات القديمة والمعاصرة).

يدل على ذلك صياحهم وصراخهم وضحكهم الذى كان يسمع على مسافة بعيدة من مدينتهم.

ولا يفوتنا أن نبين هنا دور ما يسمى بالفكر والأدب فى الترويج للفحشاء والمنكر، وهو الدور الذى لا يقل أهمية عن دور الخمر والمخدرات، إن لم يكن يزيد. فكما أنه يوجد الآن ـ وبخاصة فى الغرب ـ من يجاهرون بالأفكار والآراء التى تبرر الشذوذ الجنسى، بل وتزينه للناس، فكذلك وجد فى قوم لوط من كانوا يفعلون نفس الشيء. ولابد أن القصص الذى كانوا يسمعونه من القصاص والأساطير التى كانوا يروونها فى مجالسهم قد احتوت على صور من الشذوذ والفحش شديدة الإغراء، تنطوى على تبريرات وتسويغات لها. ولا شك أيضا أن الكهنة الذين كانوا مسئولين عن المعابد ويعتبرون أنفسهم حراس الدين، لم يكتفوا بأن يغضوا الطرف عما يحدث وحسب، بل وقاموا بإعادة تأويل مبادىء هذا الدين وقواعده وأحكامه؛ لكى تتفق مع أهواء من يمارسون الفحشاء وبخاصة طبقة الحكام والصفوة ـ أى الطبقة المترفة ـ التى كانت أول من أقدم على ممارسة الفاحشة. ولا شك أيضا أن ما يسمى بالفنون من رقص وغناء ورسم ونحت ـ وكلها من عناصر الثقافة ـ ساهمت بدرجة كبيرة فى الترويج للفحشاء، وتزيينها للناس.

### (د) النظام السياسى:

ليس من شك فى أنه كان للنظام السياسى فى مدينة سدوم دور هام جدا فى تفشى الفاحشة، وانتشار الشذوذ، بل يمكن القول إن هذا النظام هو الذى مهد السبيل أمام الفاحشة لكى تنتشر وتستشرى، سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر. فالنظام السياسى ـ بما فى ذلك الحكومة وغيرها من المؤسسات ـ منوط به حماية المجتمع من كل ما من شأنه الإساءة إلى أخلاقه وقيمه ومثله العليا، كما تقع على عاتقه المسئولية عن توفير القدوة الصالحة والنماذج الفاضلة. ويا حبذا

لو أن هذه وتلك كانتا متوفرتين فى الحاكم وأعوانه، وفى كل من يتعاملون معهم. ولكن يبدو أن ملك سدوم، أو رئيسها، كيفما كانت صفته أو شخصه، إما أنه كان أول من ارتكب الفاحشة ثم تبعه أعوانه وأصحابه ثم بقية الناس، أو أنه علم بظهور الفاحشة فى بدايتها فلم يبادر إلى اتخاذ ما يلزم للتصدى لها والقضاء عليها فى مهدها، بل غض الطرف عنها لحاجة فى نفسه، قد تكون شذوذه هو نفسه، فكان ما حدث ملائما له، أو أنه أراد أن يستخدم الفحشاء كسلاح ضد معارضيه أو أعدائه مفضلا أن يهزمهم بهذا السلاح على أن يفقد عرشه أو كرسى حكمه، وقد غلب على ظنه أنه يستطيع ـ بعد أن ينتصر على معارضيه ـ أن يواجه الفاحشة ويقضى عليها. ولكى يعبر عن رضاه الضمنى على مرتكبى الفاحشة اتخذ منهم وزيرا أو أكثر، ومستشارا أو أكثر فى إشارة منه ـ غير خافية الدلالة ـ إلى أن هؤلاء أفضل عنده وأجدر بثقته من المعارضين، حتى ولو كانوا من أهل الفضيلة الغيورين على الأخلاق. وغالبا ما يكون قد عهد بوظيفة القصص والترويح عن الناس فى المنتديات لبعض الشواذ، كما أعطى الضوء الأخضر للمبدعين لإغراق الناس فى خضم من الفنون التى تثير الشهوة وتزين الشذوذ. وليس بشرط أن تكون المعارضة التى جعلت ملك أو رئيس سدوم يفعل ذلك سياسية، فقد تكون معارضة دينية قام بها بعض الصالحين، كما كان يحدث فى المجتمعات القديمة. فما كان منه إلا أن واجه ما كانوا يعتقدون أنه فضائل بسلاح رذائله ومن بينها الفحشاء. كل ذلك محتمل، أما الأكيد فهو مسئولية الحاكم عن تفشى الشذوذ وانتشار الفحشاء فى مجتمعه وأمته.

وفى العصر الحديث استخدم السياسيون سلاح الجنسية المثلية من بين أسلحة كثيرة فى صراعاتهم السياسية من أجل الفوز بالحكم وما يقترن به من مزايا ومنافع، منها المشروع، وأغلبها غير مشروع. فقد كان من النتائج الهامة التى أسفر عنها البحث الخطير الذى أجراه العالم الأمريكى (كينسى) على السلوك الجنسى لدى الأمريكيين أن ٣٧٪ من الذكور البيض خاضوا فى بعض مراحل

عمرهم تجارب فى الجنسية المثلية[1] فضلا عما أصبح معلوما من انتشار هذا الداء بين نسبة من الأمريكيين، وهم بطبيعة الحال مواطنون لهم حق التصويت فى الانتخابات. فما كان من الرئيس الحالى كلينتون إلا أن استخدم ورقة هؤلاء الشواذ من أجل أن يحرز النصر على منافسه فى الانتخابات التى جرت عام ١٩٩٧، من ثم عمد إلى تقديم وعوده لهم بالاستجابة لمطالبهم بشأن قبول تطوعهم فى الجيش الأمريكى، والقضاء على مظاهر التمييز فى المعاملة بينهم وبين المواطنين الآخرين. وبطبيعة الحال فقد اعترض قادة الجيش على القرار الذى ما لبث الرئيس أن أصدره بعد وقت قصير من توليه السلطة قائلين إن وجود الشواذ فى الجيش لن يؤدى إلى انتشار الشذوذ فى الجيش وما يصاحبه من أمراض خطيرة آخرها الإيدز (مرض فقد المناعة) فحسب، بل سيؤدى أيضا إلى إضعاف الضبط والربط فى الجيش بسبب ما سيثيره الشواذ من مشكلات، سواء بسبب المنافسة عليهم، أو بسبب سلوكهم المشين، وممارساتهم التى لا تعترف بقيود، ولا تخضع لضوابط، ولكن الرئيس أصم أذنيه قائلا إنه وعد ولا سبيل للرجوع عما وعد به!. وعلى الفور بدأت تظهر المشاكل التى كانت قيادة هذا الجيش تتوقع حدوثها، والتى انضمت إلى المشاكل التى يحدثها وجود النساء المجندات فى كافة أفرع القوات المسلحة الأمريكية.

وكان قد سبق ذلك بمدة طويلة تكوين ما يسمى بحركة تحرير الشواذ سنة ١٩٦٩م وذلك إثر الشغب الذى حدث فى فندق ستون وول Stone wall فى قرية جرينتش، والذى أثاره الشواذ احتجاجا على المعاملة القاسية التى قالوا إن الشرطة تعاملهم بها. واعتصموا داخل الفندق، ولما حاولت الشرطة إخراجهم قذفوها بالحجارة والزجاجات الفارغة. وأسفر الاعتصام عن تكوين الرابطة المشار إليها[2].

ويوجد ـ فضلا عن العوامل الاجتماعية ـ عوامل أخرى يصفها علماء الجريمة بالشخصية أو الداخلية ـ أى التى تتعلق بشخص المجرم أو المنحرف ـ والتى

(1) ALfred C. Kinsey, Sexual Behaviour in the human Male, p. 663

(2) Ronald M. Holmes, Sex Crimes < op. Cit.

تتفاعل مع العوامل الخارجية، سواء الاقتصادى منها أو الاجتماعى فتنتج الجريمة. والعوامل الشخصية أو الداخلية تشمل الجوانب النفسية والجسمانية والعقلية للفرد. ولما أن كانت هذه تختلف من فرد إلى آخر فقد تبدو غير ذات أهمية فى موضوعنا هذا، حيث شمل الانحراف المجتمع كله وليس جزءا منه، مما جعل القلة السوية ممثلة فى لوط وأسرته تبدو هى الشاذة! ولكن الحقيقة خلاف ذلك تماما، صحيح أن سكان سدوم كانوا جميعا مجرمين ومنحرفين، ولكن جريمتهم ـ على خلاف غيرها من الجرائم ـ لا تقتصر على نوع واحد من النشاط الإجرامى، بل تشمل أنواعا متعددة، منها المثلية الجنسية الإيجابية، والمثلية الجنسية السلبية، والمثلية الجنسية المختلطة أو المزدوجة، مما يقتضى التعرف على العوامل التى جعلت بعضهم يختار هذه الصورة، والبعض الآخر يختار تلك، وهكذا. فلا نظن أنهم حين انغمسوا فى ممارسة الفاحشة قسموا أنفسهم إلى قسمين، أحدهما يضم الفاعلين، والثانى يضم المفعول بهم، فمثل هذا التصرف يتصور حدوثه فى أمور أخرى كثيرة، ولكن ليس فى المثلية الجنسية التى يتأثر فيها الاختيار بعوامل كثيرة حسية وعاطفية وجسمانية ونفسية، حتى وإن كانت فاسدة فإنها موجودة تمارس دورها[1].

والملاحظ أن كثيرا من الناس ـ ومنهم علماء وفقهاء ومفسرون ـ إذا جرى الحديث عن المثلية الجنسية، أو اللواط انصرف تفكيرهم وانحصر اهتمامهم فى الفاعلين دون المفعول بهم، أو جعلوه شاملا للاثنين معا غير ملتفتين إلى ما يوجد بينهما من فروق وما يقوم من اختلافات لا تنحصر فى دور كل منهما فى الجريمة فقط، بل تشمل البناء النفسى، والتكوين العضوى، والجهاز العصبى، والوظائف العقلية لكل منهما. ولعل ذلك يبدو واضحا فى كتب التفسير؛ حيث غلب على ظن الغالبية العظمى من المفسرين أن البعض من أهل سدوم الذين حاصروا مسكن لوط لما علموا بوجود ضيوف لديه ـ وهما الملكان اللذان جاءا ليدمرا سدوم وينقذا لوطا وأهله منها ـ كانوا من الشواذ الإيجابيين، وأنهم أرادوا أن

(1) George W. Henry, M.D. SEX VARIANTS, A Study of Homosexual

يترك لهم لوط الملكين ليأتوهما. ولم يقل لنا المفسرون لماذا اختاروا هذا ولم يختاروا العكس، أى أن يكونوا من الشواذ السلبيين؟! ولو أنهم فعلوا لجنبوا أنفسهم الكثير من الجهد الذى اقتضاه تفسيرهم للعرض الذى قدمه لوط لأهل سدوم بأن يترك لهم بناته ليفعلوا بهن ما يريدون، وهو ما أخذه بعض المغرضين على لوط ناعين عليه تخليه عن بناته بهذه الصورة التى تدين أى أب، فما بالنا بنبى!. وتساءلوا فى تعجب ـ وهم يتظاهرون بالإشفاق على بنات لوط ـ: كيف لنبى أن يترك بناته لعدد لا حصر له من الرجال ليأتوهن؟! وألا يعد زنا بل وبغاء مما يحرمه الدين؟! وسنعود إلى هاتين المسألتين بعد أن نتناول بالبحث العوامل الشخصية أو الداخلية ودورها فى تحديد اتجاه الشواذ نحو هذه الصورة أو نحو تلك من صور الشذوذ.

**العوامل الشخصية:**

وهذه العوامل منها ما هو بيولوجى(*) ومنها ما هو نفسى (سيكولوجى) ومنها أخيرا ما هو فسيولوجى (خاص بوظائف الأعضاء) وسنتناولها بإيجاز فيما يلى:

بالنسبة للعامل الأول فإنه لوحظ أن الشذوذ الجنسى يكون مصحوبا أحيانا باضطرابات فى إفراز الغدد يرجع إلى أسباب خلقية، مما يجعل الشخص يتصرف على هذا النحو دون أن يملك إرادته، كما لو كان يخضع لقوة قاهرة. ومع ذلك فإن هذا الشخص إذا تلقى علاجا فى مرحلة مبكرة يمكنه أن يتخلص من ميله الشاذ.

وبالنسبة للعامل الثانى ـ وهو العامل النفسى ـ فإنه يكاد أن يكون أكثر العوامل الشخصية انتشارا، وهو ينشأ عادة عن أسباب اجتماعية، مثال ذلك الارتباط الشديد بين الابن والأم، وكذلك الشخصية العدوانية للأم وميلها الشديد إلى السيطرة على الابن، مما يجعله يتعثر فى الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة. كما تلعب شخصية الأب دورا فى انحراف الأبناء، كأن يكون قاسيا أو

(*) علم الأحياء. علم الحياة أو الكائنات الحية فى جميع أشكالها وظواهرها. (قاموس المورد)

شديد الضعف أمام الأم. كذلك فإن خوض الابن تجارب جنسية خاطئة، ووجود تعليم أو أفكار جنسية غير سليمة يعدان من العوامل الهامة التى تلعب دورا فى انحرافه[1].

أما العامل الثالث وهو الخاص بوظائف الأعضاء فإن دوره فى شذوذ الشخص جنسيا يظهر فى حالة ما إذا أصاب الأعضاء خلل ما أثر فى وظائفها.

وهكذا ، فإن تفاعل أحد هذه العوامل مع غيره من العوامل الاجتماعية والاقتصادية ينتج عنه نوع الشذوذ الذى يمارسه الشخص، كأن يكون سلبيا فى العلاقة الجنسية، أى يلعب دور الأنثى. أو يختار أن يكون إيجابيا، أى فاعلا، ولكن مع مفعول به ذكر، أو أن يقوم بالدورين: الفاعل والمفعول به!.

غير أنه بالنسبة للشواذ الإيجابيين فإن الغالبية العظمى منهم يرجع شذوذهم إلى التوجيه الخاطىء لنشاطهم الجنسى فى مرحلة المراهقة. فهم عندما يصلون لمرحلة البلوغ ويشعرون بضغط الحاجة إلى الجنس يلتمسون سبلا للإشباع، من بينها إتيان الصبية الصغار، فإذا تكرر ذلك منهم حدث لديهم تثبيت على هذا النوع من العلاقة إلى الدرجة التى قد يصرفهم فيها عن العلاقة الجنسية السوية مع الإناث عندما يصبحون مؤهلين للزواج. ومع ذلك فإنهم يتزوجون تحت ضغط القيم السائدة فى المجتمع، والتى تعارض بقاء الرجال بدون زواج طالما أنهم أصبحوا قادرين عليه.

كذلك هناك نوع من الشواذ الإيجابيين يقدمون على إتيان الصبية الصغار بدافع من الرغبة فى الانتقام لأنفسهم، حيث كان قد سبق لهم أن وقعوا ضحية لآخرين، فهم يرغبون فى أن يعانى هؤلاء مثلما عانوا هم. غير أنه يحدث لديهم تثبيت على هذا النوع من الإشباع، وربما يجمعون بينه وبين القيام بدور الطرف السلبى فى العلاقة، فيمارسون كلا النوعين من الشذوذ.

ولقد تبين من الدراسات التى أجريت على السجون ـ وهى أكثر الأماكن التى

(1) Walter C. Reckless, The Crime Problem, P. 228

يوجد بها شواذ، وأشدها ملاءمة للقيام بملاحظة سلوكهم ـ أن النوع السلبى منهم يتميز عن النوع الإيجابى بمميزات واضحة، مثل انعدام الحياء، والجرأة فيما يصدر عنهم من تصرفات يهدفون منها إلى إظهار شذوذهم والإعلان عن انحرافهم وفجورهم الشديد إلى حد أنهم لا يتورعون عن إظهار الإعجاب بالرجال، حتى ولو كانوا زوارا من خارج السجن، وإلحاحهم عليهم بطريقة منفرة قد تتحرج منها أكثر النساء الساقطات فجورا.

كما لوحظ أنهم يتسببون فى إشاعة جو من التوتر الذى يبعث على قلق المسئولين عن السجن بما يصدر عنهم من تصرفات تهدف إلى غواية المسجونين الشباب، بالإضافة إلى ما يتعمدونه من إثارة مشاعر الغيرة لدى المسجونين ممن لهم علاقة بهم مما يؤدى إلى نشوب معارك عنيفة بين المتنافسين على الشواذ غالبا ما تسفر عن جرحى وقتلى ليس من بينهم أحد من الشواذ؛ لأنهم أول من يهرب من ساحة المعركة!

وبالنسبة للشاذ السلبى فإنه قد يذهب فى شذوذه إلى حد محاكاة الإناث فى سلوكهن وتصرفاتهن، فيرتدى الثياب الداخلية لهن، ويتزين مثلما يتزينَّ، وقد يحاكى طريقة مشيهن وإيماءاتهن ونظراتهن، وهو ما تفعله الإناث الشاذات اللاتى يقمن بدور الذكر مع إناث أخريات، فإنهن يحاكين الرجال فيما يستعملون من ملابس وأحذية، وفى طريقة قصهم لشعرهم، وأسلوبهم فى الكلام، وطريقتهم فى المشى وفى الجلوس وغير ذلك. وذلك على خلاف الشاذ الإيجابى فإنه لايفعل ما يكشف عن شذوذه، بل والأغرب من هذا أن من كانوا فى السجن منهم ينكرون تماما قيامهم بهذا العمل، إذا ما اتهمهم زملاؤهم به، فإذا حوصروا بالأدلة طاطأوا رءوسهم خجلا، وابتعدوا عن الآخرين، وهم لا يرفعون نظراتهم عن الأرض. أما الشاذ السلبى فإنه على العكس لا ينكر أنه كان طرفا فى علاقة جنسية شاذة مع سجين آخر، فإذا أنكر السجين واجهه فى إصرار غريب يلح عليه لكى يعترف، والأكثر من هذا أنه لا يتورع عن وصف ما حدث لزملائه المسجونين وهو يضحك فى سعادة، وكأنه فعل شيئا يدعو للفخر.

ولا يختلف الشاذ السلبى خارج السجن عن نظيره داخل السجن إلا من حيث تحفظه فى تصرفاته بين من يتعامل معهم من أقارب ومعارف وزملاء فى العمل، أو أصدقاء لا يعلمون شيئا عن شذوذه. أما بين من هم على شاكلته فإنه سرعان ما يتخلص من قناع البراءة والشرف والسواء الذى يضعه على وجهه، وينطلق فى عبثه وفجوره بلا حياء أو خجل، وكذلك الشاذ الإيجابى الذى اعتاد أن يجد متعته فى هذا النشاط الشاذ. غير أن الأمر يختلف إذا ما انتابت الرغبة الشاذة كلا الشخصين، ولم تكن أمامه فرصة لإشباعها بطريقة سهلة. فقد تبين من البحوث التى تناولت جرائم القتل التى راح ضحيتها الشواذ أنهم جميعا كانوا من السلبيين ولم يوجد من بينهم شاذ إيجابى واحد، والسبب فى ذلك أن الشاذ الإيجابى إذا ضاقت به السبل لإقامة علاقة مع شاذ سلبى فلا تزال أمامه الفرصة لإقامتها مع إحدى النساء ولو كانت بَغِيًّا. فى حين أن الشاذ السلبى لا يستطيع ذلك، فلا غناء له عن الذكور، ومن ثم ينطلق ـ تحت تأثير الرغبة الشاذة المتسلطة عليه ـ يبحث عمن يقبل أن يكون شريكا له فى العلاقة الشاذة إلى أن يتوسم فى شاب ما الاستعداد للقيام بذلك فيتودد إليه، وكثيرا ما يكون الشاب الذى وقع عليه اختياره خالى الذهن تماما عما يرمى إليه الشاذ، عديم التجارب، خجولا، فضلا عن أنه قد يكون ممن يعانون من مشكلات اقتصادية، كالبطالة، أو اجتماعية كالتفكك الأسرى، أو غيرها، وما يقترن بهذه أو بتلك من مشاعر الإحباط أو الاكتئاب فيستدرجه الشاذ إلى حيث يقيم أو إلى حيث اعتاد أن يمارس نشاطه الشاذ، وهو يرحب به ويتودد إليه، وقد يقدم له طعاما فاخرا وشرابا مسكرا أو نوعا من المخدرات كوسيلة لترويضه وإضعاف مقاومته. ولكنه ما أن يبدأ فى الكشف عن قصده ومراودة الفتى عن نفسه حتى يفاجأ به يرفض ما يطلبه منه، ولكن الشاذ لا يقتنع بهذا الرفض، ولا بما يبديه له الفتى من أسباب، وغالبا ما ترجع إلى الدين، فيستمر فى إلحاحه عليه والتوسل إليه بطريقة تضاعف من نفور الفتى منه وتجعله يزداد إصرارا على الرفض، ويحاول أن يترك المكان، وعندئذ يتشبث به الشاذ بطريقة تثير الخوف فى نفس الشاب، فيمعن فى مقاومته والشاذ

يتضرع ويعد ويمنى وهو يرتعش من فرط الانفعال الشهوانى، مما يجعل خوف الفتى يصل إلى ذروته فيدفعه عنه فى توتر شديد، والشاذ يأبى أن يتركه. ويجتمع الخوف مع الاشمئزاز مع الاحتقار الشديد فى نفس الشاب فلا يجد مناصا للتخلص من الخطر المحدق به غير أن يتناول أى شىء يصلح لأن يضرب به الشاذ ليتخلص منه، كتمثال معدنى أو إناء زجاجى من النوع الذى توضع فيه الزهور، أو سكين مما يستخدم فى فتح الخطابات أو سلاح حقيقى مما يوجد فى البيوت عادة كسكين أو ساطور أو غير ذلك فيضربه به فى غضب شديد حتى يسقط مضرجا فى دمائه لا يقوى على الحركة، وعندئذ فقط يفيق الفتى إلى نفسه، ويدرك فداحة ما فعله، فيبادر إلى إزالة كل أثر له من المكان، ثم يولى هاربا دون أن يراه أحد. وهكذا يتعذر على الشرطة أن تتعرف عليه أو تكتشف شخصيته، وتقيد الجريمة ضد مجهول!

والغريب فى أمر هؤلاء الشواذ أنهم يعلمون بما حدث لزملائهم، سواء من الشرطة التى تتصل بهم لتتعرف منهم على علاقات المجنى عليهم لعلها تصل إلى الجناة، أو من الصحف التى تنشر أخبار هذه الجرائم، ومع ذلك لا يفكرون فى التوقف عن ممارسة نشاطهم الشاذ درءا للخطر المتربص بهم، وإنما يستمرون فيه على أمل أن يكون حظهم أفضل من حظ زملائهم، ولكن الموت لا يلبث أن يدهمهم على يدى شاب برىء أرادوا أن يسخروه لإشباع شهوتهم الشاذة فيفارقون الحياة غير مأسوف عليهم، بل تشيعهم اللعنات، وبخاصة من أبنائهم وأقاربهم وكل من يعرفهم.

## الرد على من اتهموا لوطا عليه السلام

فى ضوء ما تقدم نجد لزاما علينا أن نضع الأمور فى نصابها بالنسبة لما حدث من قوم لوط لما علموا بوجود ضيوف لديه استقبلهم فى بيته، دون أن يعلموا أنهما ملكان جاءا ليخرجاه من مدينتهم قبل أن يدمراها على رءوسهم، فقد فسر كل المفسرين تقريبا سلوك قوم لوط على أنهم أرادوا أن يخلى بينهم وبين ضيفيه

حتى يتمكنوا من إتيانهما كما يأتون الذكور منهم، فما كان منه إلا أن عرض عليهم بناته ليأتوهن بدلا من ضيفيه، غير أنهم رفضوا ذلك مصرين على أن يترك لهم ضيفيه، فأبى، وكان ما كان. ونرجع إلى القرآن الكريم فلا نجد آياته تدل على هذا المعنى، فقد قال لوط لقومه: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾[1].

فلوط ـ عليه السلام ـ يعرض عليهم بناته قائلا هن أطهر لكم، على اعتبار ما فى إتيان الذكور من قذارة ونجاسة؛ لأنهم لم يخلقوا لهذا الغرض، بخلاف النساء، ولاعتقاده أنهم ـ أو على الأقل الجماعة التى تزعمت القوم وتقدمتهم ـ هم من الشواذ الإيجابيين الذين يمكنهم أن يأتوا النساء كما يأتون الرجال، ولكنهم قالوا له: لقد علمت مالنا فى بناتك من حق. وهكذا أعلموه أنهم لا يملكون القدرة على إتيان بناته، ثم أضافوا قولهم: وإنك لتعلم ما نريد. فكأنهم افترضوا أنه يعلم أنهم إنما يريدون الضيفان ليأتوهم هم، لاليأتوا هم الضيفان، أى أنهم يريدون الضيفان شركاء إيجابيين فى الفاحشة. وقولهم للوط: وإنك لتعلم ما نريد. يعنى: إما العلم الحقيقى، كأن يكون قد عرف عنهم أنهم شواذ سلبيون، وإما يعنى العلم المفترض، كأن يكون مظهرهم دالا على ذلك كما لو كانوا يتصرفون كالإناث، سواء فى كلامهم أو فى حركاتهم، أو أنهم كانوا يرتدون ثيابا من نوع ما ترتديه النساء ويتزينون مثلهن. وسواء أكان علم لوط بهم حقيقيا أم مفترضا فإن ذلك يكشف عن أمر هام، وهو أنه لما عرض عليهم بناته كان يعلم أنهم لن يقبلوا عرضه هذا، لعجزهم عن إتيانهن. وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم فى السور التى تناولت قصة لوط سنجد أنه كان يعيب عليهم باستمرار إتيانهم الرجال دون النساء، فكأنه بعرضه بناته عليهم بدلا من ضيفيه إنما أراد أن يقيم عليهم الحجة أمام ضيفيه، وهو لا يعلم أنهما ملكان جاءا ليدمرا البلدة على رءوس سكانها. ولعل ذلك يكون ردا مقنعا على ما اتهم به الشيوعيون والملحدون لوطا بالدياثة، أى بعدم الغيرة على أهله؛ لأنه رضى أن يضحى بشرف بناته بسهولة حماية لضيفيه. وهو اتهام باطل إن دل على شىء فإنما يدل على سطحيتهم وضحالة تفكيرهم وسوء نيتهم.

(١) هود: ٧٨، ٧٩

وفيما يتعلق بالسبب فى ابتلاء قوم لوط بهذه الفاحشة: نجد كتب التفسير - وبالذات القديم منها - تسوق أسبابا غير معقولة هى أقرب إلى الأساطير والإسرائيليات منها إلى العقل والمنطق، من ذلك أن إبليس تَزَيَّا لهم فى صورة أجمل صبى رآه الناس، فدعاهم إلى نفسه، ثم جروا على ذلك. ويقول رشيد رضا فى ذلك: إنه أثر لا يثبت به شىء[1]. وهناك رواية أخرى تقول إنه كانت لهم ثمار بعضها على ظهر الطريق، وأنه أصابهم قحط وقلة ثمار، فتواطأوا على منع ثمارهم الظاهرة أن يصيب منها أبناء السبيل، بأن يعاقبوا كل غريب يأخذونه فى ديارهم بإتيانه، أى ممارسة اللواط معه، وتغريمه أربعة دراهم، قالوا: فإن الناس لا يظهرون ببلادكم إذا فعلتم ذلك، ففعلوه فألفوه. وهذا حل غريب للمشكلة ولا شك، فلماذا اللواط دون غيره وقد كان بوسعهم أن يمنعوا الناس من الاستيلاء على ثمارهم بوسائل أخرى غير الفاحشة، بل إنهم فرضوا عليهم غرامة بالفعل، فما الداعى لإتيانهم لهم؟! اللهم إلا أن يكونوا تعللوا بحماية الثمار لكى يمارسوا الفاحشة، وهو الراجح. وقد يكون ذلك حدث بعد أن مارسوا الفاحشة فعلا.

ويعد رشيد رضا من المفسرين القلائل الذين تنبهوا إلى الأسباب الحقيقية لظهور الفاحشة، أو على الأقل بعضها، من ذلك قوله: هذه الفاحشة من سيئات ترف الحضارة، وهى تكثر فى المسرفين فى الترف، ولا سيما حيث يتعسر الاستمتاع بالنساء، كثكنات الجند، والمدارس الداخلية بخاصة، وغير الداخلية بعامة، حيث تضعف المراقبة الدينية الأدبية فيها على التلاميذ. ويضيف قائلا: «ومن أسباب ابتلاء بعض فساق المسلمين بها فى عنفوان حضارتهم احتجاب النساء وعفتهن، مع ضعف التربية الدينية، وكثرة المماليك من أبناء الأعاجم الحسان الصور، والاتجار بهم»[2].

ويعدد الآثار السيئة التى تنجم عن هذه الفاحشة قائلا إنها:

١ - جناية على الفطرة البشرية.

(١) المرجع السابق، ج ٨ ص ٤٦٣

(٢) المرجع السابق، ص ٤٦٤

٢ ـ مفسدة للشبان بالإسراف فى الشهوة لأنها تنال بسهولة.

٣ ـ مذلة للرجال بما تحدثه فيهم من داء الأبنة.

٤ ـ مفسدة للنساء اللواتى تصرف أزواجهن عنهن، حتى يقصروا فيما يجب عليهم من إحصانهن.

٥ ـ قلة النسل بفشوها؛ فإن من لوازمها الرغبة عن الزواج، والرغبة فى إتيان الأزواج فى غير مأتى الحرث. وقد وردت أحاديث كثيرة فى حظر إتيان النساء فى غير سبيل النسل ولعن فاعل ذلك، وهو من عمل قوم لوط، وسماه البعض اللوطية الصغرى.

وعلى الرغم من ذلك ومما أنزله الله تعالى بقوم لوط وبمدينتهم سدوم فإن المأساة بحذافيرها تتكرر ولنفس الأسباب وبتأثير ذات العوامل، مما يدل على أن الناس سرعان ما ينسون ما لحق بمن سلك هذا السبيل، وخطا فى هذا الطريق. ويحفظ لنا التاريخ قصة مماثلة لقصة سدوم هى قصة مدينة بومبيى، وهى مدينة قديمة بجنوبى إيطاليا بالقرب من نابولى، عند سفح جبل فيزوف، استولى عليها الرومان فى عهد الإمبراطور (صلا) فى القرن الأول قبل الميلاد. وقد كانت ثغرا مزدهرا، وسوقا عامرا، مما عاد على السكان بالخير الوفير، وحصل كثير منهم على ثروات كبيرة، فأنشأوا القصور الفاخرة، وأثثوها بأحسن الأثاث وأغلاه، وتفننوا فى الاستمتاع بحياتهم، فارتدوا أفخر الثياب وأرقها وأغلاها، وأسرفوا فى الطعام والشراب واللهو غير البرىء، حتى كانت صيحاتهم وهم سكارى تصم آذان بحارة السفن الراسية فى الميناء، وتصل إلى أسماع ركاب السفن قبل أن ترسو فيها. وكما هى العادة، فبعد أن ملوا النساء تحولوا إلى الفتيان، وانتشرت الفاحشة فيهم حتى أصبحت طبيعة ثانية، وتكرر ما حدث فى سدوم. وفى سنة ٦٣ ميلادية جاء سُكَّانَهَا النذيرُ متمثلا فى زلزال قوى أصابها بخسائر كبيرة، لعلهم يرجعون عما هم فيه، ولكن الذى حدث أنهم استهانوا بالإنذار رغم قوته وقسوته، وشرعوا فى إعادة بناء ما تهدم من قصورهم وملاعبهم ومنتدياتهم وحماماتهم، وهم يصلون ما كان قد انقطع من لهوهم وفسقهم وإجرامهم، فما

هى إلا ستة عشر عاما مضت على الزلزال حتى حدث ما قضى عليهم نهائيا، وجعلهم - مثل أهل سدوم - مجرد ذكرى سيئة للجحود البشرى لفضل الخالق العظيم. فذات يوم، وفى الصباح المبكر ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[1].

وبينما هم يغطون فى نوم عميق، بعد أن أنهكتهم الفاحشة التى أسرفوا فى ممارستها، وأرهقهم الرقص والشراب، وأتخمهم الطعام داهمتهم الحمم التى اندفعت من فوهة بركان فيزوف، فشوت جلودهم، وصهرت عظامهم، ودمرت ممتلكاتهم، ثم غطت المدينة الفاسقة كلها حتى لم يعد يظهر منها شىء، وكأنها لم توجد أبدا، وظلت كذلك إلى سنة ١٧٤٨ ميلادية [2] عندما أجريت حفريات فى المكان الذى قيل إنها كانت توجد به فتم الكشف عن أجزاء منها، ثم توالى الحفر إلى أن كشف عنها كلها وظهر ما كان عليه سكانها من ثراء وترف ومجون، حيث زينوا جدران قصورهم بلوحات رائعة تشهد على فجورهم وشذوذهم، وتقوم شاهدا على أن الله تعالى قد نفذ فيهم حكمه العدل.

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلف المجرمون وراءهم أثرين هامين، الأول عند البحر الميت فى فلسطين، متمثلا فى مدينة سدوم، والثانى بالقرب من نابولى، فى إيطاليا متمثلا فى بومبيى، لعل الناس أن يعتبروا بما جرى لسكانهما فيبتعدون عن الفاحشة، وعن كل ما يقربهم منها، حتى لا يلقوا نفس المصير. ولكن هل اعتبروا واتعظوا؟! طبعا لا. والدليل على ذلك هو ما نراه الآن من وجود لا سدوم أو بومبيى واحدة، بل مئات المدن فى شتى أنحاء العالم يمارس سكانها الفاحشة وييسرون ممارستها لزوارهم، ويدعون - وبإلحاح - إلى الاعتراف للشواذ بحقهم فى ممارسة الشذوذ، ويستنكرون أى إجراء يتخذ ضدهم[3]. وكأن الناس نسوا ما حدث لسكان سدوم ثم لسكان بومبيى، أو كأنهم فقدوا عقولهم فلم يعودوا قادرين على التفكير السليم، أم تراهم يقولون كما قال أهل سدوم للوط - عليه السلام -: ﴿ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[4].

(١) سورة هود، من الآية: ٨١

(٢) الموسوعة العربية الميسرة: مادة بومبيى

(3) John A. Loraine, Sex and the Population Crisis, P.

(٤) العنكبوت: ٢٩

# المراجع

## أولا ـ المراجع العربية

### أ ـ الكتب:


١ ـ ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) كتاب الشعب، دار الشعب، القاهرة بدون تاريخ.

٢ ـ ابن منظور (لسان العرب) دار المعارف، القاهرة.

٣ ـ ابن الخطيب (يوسف الصديق) المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة الأولى، القاهرة ـ ١٩٧٧م

٤ ـ ابن القيم الجوزية (الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية) المؤسسة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦١م.

٥ ـ البخارى: محمد بن إسماعيل (صحيح البخارى) كتاب الشعب، دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ

٦ ـ الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (كتاب الحيوان) دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

٧ ـ حتى: فيليب (تاريخ سورية ولبنان وفلسطين) الجزء الأول «تاريخ سوريا» ترجمة جورج حداد، وعبد المنعم رافق، دار الثقافة ـ بيروت ١٩٥٨م.

٨ ـ حسن: سليم (الأدب المصرى القديم، أو أدب الفراعنة) مطبوعات كتاب

اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، العدد الثانى، ديسمبر ١٩٩٠م

٩ ـ الحموى: ياقوت (معجم البلدان) دار إحياء التراث العربى، ١٩٧٩م.

١٠ ـ دروزة: محمد عزة (تاريخ موجات الجنس العربى فى وادى النيل: مصر والسودان) المكتبة العصرية، بيروت.

١١ ـ تاريخ موجات الجنس العربى ودولها ومآثرها فى بلاد الشام (سوريا ولبنان والأردن وفلسطين) قبل العروبة الصريحة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا بدون تاريخ

١٢ ـ تاريخ موجات الجنس العربى ودولها ومآثرها فى العراق قبل العروبة الصريحة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا، بدون تاريخ

١٣ ـ الدينورى: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (عيون الأخبار) سلسلة التراث للجميع. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.

١٤ ـ رضا: محمد رشيد رضا (تفسير المنار) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.

١٥ ـ الزمخشرى (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل) دار الفكر، القاهرة ١٩٧٩م.

١٦ ـ سالم: أحمد موسى (قصص القرآن فى مواجهة أدب الرواية والمسرح) دار الجيل، بيروت، ١٩٧٨م.

١٧ ـ الطبرى: محمد بن جرير (جامع البيان فى تفسير القرآن) الطبعة الرابعة، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.

١٨ ـ عطية الله: أحمد (القاموس الإسلامى) مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م.

١٩ ـ الغزالى: أبو حامد محمد بن محمد (إحياء علوم الدين) دار إحياء الكتب العربية، البابى الحلبى، القاهرة ١٩٥٧م.

٢٠ ـ القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) الطبعة الثالثة، دار الكاتب العربى ـ القاهرة ١٩٦٧م.

٢١ ـ قطب: سيد (فى ظلال القرآن) دار الشروق، القاهرة ١٩٧٤م.

٢٢ ـ المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين (مروج الذهب ومعادن الجوهر) الطبعة الرابعة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م.

٢٣ ـ المجدوب: أحمد على (العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية) الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩١م.

٢٤ ـ ظاهرة اغتصاب الإناث فى المجتمعات القديمة والمعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٣م.

٢٥ ـ الوهم والحقيقة فى الفكر المصرى الحديث، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة.

٢٦ ـ المقريزى: تقى الدين أبو العباس أحمد بن على (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) بدون تاريخ.

٢٧ ـ النجار: عبد الوهاب (قصص الأنبياء)، الطبعة الثانية، العالمية للتوزيع، القاهرة بدون تاريخ.

٢٨ ـ ول. ديورانت (قصة الحضارة) الجزء الأول من المجلد الأول، الطبعة الرابعة، الناشر جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٧٣م.

**ب ـ دوائر معارف وموسوعات وقواميس:**

١ ـ دائرة المعارف الإسلامية.

٢ ـ الموسوعة الإسلامية الميسرة.

٣ ـ الموسوعة العربية الميسرة.

٤ ـ قاموس المنهل.

٥ ـ قاموس المورد.

## ثانيا ـ المراجع الأجنبية


Ann Wolbert Burgess, A Nicholas Groth & others, Sexual Assault of Children and Adolescents, Lexington Books. D.C Health and Company. Lexington, Massachusetts Toronto, 1978

- Barnes & Teeters, New Horizons in Criminology, Third Edition, Prilntice hall of lndia Private ltd new Delhi, 1966

Edwin H. Sutherland & Donald R. Cressey. PmcipLes of Criminology. Sixth Edhition, The Times of lndia Press, Bombay 1968.

James D. Pages, Psychopathology, The Sience of Understanding Deviance, Second Edition, Aladine Publishing Company, Chicago, 1975

John A. Loraine, Sex and the Population Crisis, William Hainemann Medical Books ltd 1970

Kinsey, A., Pomeroy, W., & Martin, C Sexual behavior in the human male. philadelphia. W. b. saunders (1948)

Ronald M. Holmes, Sex Crimes. Sage Publications, The lnternatlonal Professlonal Publlshers Newbury Park London New Delhi, 1991

sara delamont. sex roles and the school, methuen, new york 1980

walter V. Reckless. The Crime problem. Vakils feffer and Simons private LTD. Bombay, 1971